المفارقة في البناء السّردي :الحكاية العبّاسية أنموذجاً

م.م. محمّد ونّان جاسم– الجامعة السورية الخاصة

المستخلص

تعد المفارقة احد عناصر البناء السّردي للحكاية العبَّاسية ذات الحضور الجمالي ، ولاسيّما في لغة الحكاية التي كانتْ ذا تأَثُرٍ كَبِيْرٍ في خَلْقِ المِفَارَقَةِ، وأنَّها حضرت في النوع والأسلوب والإجراء، وكانت(الأبيجراما) الشَّكلَ السَّرديَّ البارزَ في مفارقات اللغة، فضلاً عن البدهية وحسن الجواب والقول بالموجب والمعاكسة وسوء الفهم لمعنى النص الكامل، وتغيير دلالات الألفاظ والتراكيب والنصوص تبعاً لتغيير دلالة اللفظة المتاتية من التصحيف النصي أو الشكلي، وكان لأساليب اللغة في الاستفهام والنداء والطلب ، فضلاً عن بعض الأدوات النحوية مكانةٌ ذات فاعلية في خلق المفارقة.

Abstract

Irony is one of the elements of narrative structure in the Abbassid storie. It has an aesthetic significance especially on the level of language. Irony is present in these stories on the levels of type, style, and procedure. It was the most prominent feature of the language of narration. Irony manifests itself in witty dialogues, double meaning, and misunderstanding. It also rises from the changes in meaning of expressions in the process of textual and formal inscription. Irony is also sharpened by such linguistic styles of introgation, addressing, request.

تمهيد:

المفارقةُ بِنْيَةٌ أسلوبيةٌ تحولُ في الخفاءِ والمخالفةِ وتعني قولَ شيءٍ والإيحاء به بوساطة نقيضه ، وهي علامةٌغيرُ مُكْتَمِلَةٍ؛ لأنّ اكتمالَها ينحو بها مَنْحَى التماثلِ والتّشابهِ، والمفارقة خيبةُ توقّع تثيرُ الدهشةَ والاستغراب والسخرية،ويسعى هذا البحثُ إلى بيان حضورها في البناء السّردي للحكاية العبّاسية من خلال عناصر السرد الثلاثة (الظرف والفعل واللغة) وعلى النحوالآتي :

1- الظرف:

يضمّ هذا العنصر أمرين هما : الفضاء والصوت السردي، والفضاء هو المكان النصّي والمكان غير النصّي، والأمكنة تحضر في السرد العربي التراثي بوصفها قوة غيبية تفرض سطوتهاعلى الإنسان وممارساته، فهي ليست حيّزاً جغرافياً محايداً، بل إنّها سلسلة دوال تحيل إلى مدلولات عديدة [1]؛ لذا ظهرتأمكنة مختلفة تنتمي إلى العوالم الثلاثة : عالم الممكن والعالم الامتناعي والعالم الاستحالي، ويجتهد هذا البحث في رصد المفارقة من خلال علاقتها بالمكان المنتمي إلى عالم الممكنات، فالأمكنة في هذا العالم لم تخلق صراعاً بينها وبين الإنسان كما هي الحال في العالمين الآخريينِ إذ كانت الأمكنة فيهما – على الأغلب – أمكنة وهم لا أمكنة وجود، ويقول د. هيثم سرحان توضيحاًللفرق بين الأمكنة الممكنة والأمكنة الأخرى[2] : (الأمكنة، في الأصل، محايدة حياداً مطلقاً إلا إذا قُيِّضَ لها قوة تؤسطرها، وتجعلها قادرة على ضخّ المفاهيم الثقافية، ويمكن البرهنة على ذلك من خلال النظر في طبيعة العلاقة الإشكالية القائمة بين الإنسان والأمكنة، فقد اكتستْ هذه العلاقةُطابعاً أسطورياً تُلْمَحُ تجليّاته في المفاهيمالماثلة في الخطاب السردي) يبدو على وفق هذا الرأي أن الأمكنةفي التداولية الحكائية أمكنةٌ محايدة، وحيادها لا يعترض المفارقة المكانية التي ستحضر بوساطة تغيير وظيفة المكان سردياً[3]، كما هي الحال في تغيير وظيفة المسجد الذي عُدَّ أوّل فضاء للحكاية ؛ لذلك سميّ بعض القصّاصين ب((المسجديين))[4]، فالمسجد متعالق بالعبادةوالصدق، والقصّة عند العرب آنذاك مرتبطة بالكذب، فضلا عن سمتهم الرئيسة البخل وقد روي عنهم حكايات كثيرة [5]، وهذه مفارقة لا نصيةتحققت في جزئيات الخطاب الاجتماعي وجَذَّرَهَا المكانُ، وتخلخلت بوساطتها الحقيقة التي هي الصورة الثابتة في أذهان الناس[6]، ومن تأثير العنصر الظرفي في خلق المفارقة إجابة أحدالحكماء عن سؤال فتى سأله عن اشتياق النفوس إلى العودة للأجساد بعد مفارقتهافأجابه بحكاية نصّها[7]:(ذَكَرُوا أنَّ مَلِكَاً منَ المُلُوكِ كَانَ لَهُ ابنٌ كَرِيْمٌ عَلَيْهِ، فَزَوَّجَهُ بابنةِ مَلِكٍ وَزَفَّهَا إِلَيْهِ،على أَحْسَنِ ما يكونُ منَ الكَراماتِ كما تُزَفُّ بناتُ الملوكِ، وَأَصْلَحَ للحاشيةِ دَعْوَةَ سبعةِ أيّامٍ لا يعرفونَ غيرَ الأَكْلِ، و الشّربِ والغناءِ والفَرَحِ والسُّرورِ، وكانَ ابنُ الملكِ يَقْعدُ في صَدْرِ المجْلِسِ على سريرٍ لهُ، وينظرُ إلى النَّاسِ وماهم فيهِ منَ الفرحِ والسّرورِ، فلمّا مضى منَ الليلِ قِطْعَةٌ، ونامَ أكثرُ النَّاسِ قامَ منَ مجلسهِ ليدخلَالحُجْرَةَ ؛ للخَلْوَةِ عندَ العروسِ، فاتفقَ ليلةً أنْ نامَ أهلُ المجْلِسِ كلُّهمْ منَ السُّكْرِ، وَقامَ الفتى يمشي في الدّارِ حَتّى خَرَجَ منْ بابِ الدّارِ، وجُعِلَ في الشَّارِعِ، وَمَشَى حتّى خَرَجَ منَ المدينةِ فَوَقَعَ في الصّحراءِ، ولمْ يَدْرِ أينَ هو ! ثُمَّ إِنَّهُرأى ضَوْءاً مِنْ بَعِيْدٍ فَذَهَبَ نَحْوَهُ حتّى قَرُبَ مِنْهُ ، فإذا هو بِبَابٍ مَرْدُوْدٍ، والضوءُ مِنْ داخلِهِ، فَدَفَعَ البابَ فإذا هو بقومٍ نيامٍ مطروحينَ يَمْنَةً و يَسْرَةً، وَكُلُّ وَاحِدٍ مَلْفُوْفٌ في إزارٍ، فَظَنَّ أَنَّهَا حُجْرَةُ العَرُوْسِ، وأنَّ أُولئكَ النَّيامَ جواريها وخدمُها، فجعلَ يناديهم فلم يجبْهُ أحدٌ منهم، فَظَنَّ أَنَّ ذلك منْ شدّةِ سُكْرِهِمْ، فَجَعَلَ يلتمِسُ العروسَ

منْ بينهم، حتّى وقعتْ يَدُهُ على واحدةٍ هي أطراهُنَّ ثياباً وأَطْيبهُنَّ ريحاً، فظنَّ أَنَّها عروسُهُ، فاضطجعَ معها وعانقها، وجعلَ طوالَ الليلِ يبوسُها ويمتصُّ منْ ريقِها ويتلذّذُ، ولا يرى أنْ تكونَ لذّةٌ أطيبَ ممّا هو فيه!.فلمّا أصبحَ وزالَ سُكْرُهُ نادى بالخادمِ فَلَمْ يجبْهُ أحّدٌ، وجعلَ يحرّكُ العروسَ فلا تُجيبهُ ولا تنتبهُ، فلمّا طالَ ذلكَ عليهِ فتحَ عينيهِ، فإذا هو في ناووسَ[8] خَرِبٍ، وإذا أُولئكَ النيامُ كلُّهم جِيَفُ الموتى، وإذا هو بجَنْبِ امرأةٍ عجوزٍ قد ماتتْ منذُ قريبٍ، وعليها أكفانٌ جُددٌ، وحَنوطٌ طريٌّ، وإذا الدَّمُ والصّديدُ قدْ سالَ منها، وتلوثتْ ثيابُهُ وَبَدَنُهُ ووجهُهُ من تلك الدِّماءِ و الصّديدِ والقاذوراتِ.فلمّا رَأى ذلك الحالَ هالَ ، ووردَ عليهِ أمرٌ مَهولٌ، فقامَ مرعوباً وطلب البابَ وخرج هارباً متنكراً ؛ مخافة أن يراه أحًد على تلك الصورة والحال، ذاهباًفي طَلَبِ الماءِ؛ لِيَغْسِلَ ما بهِ، حتَّى إذا وَرَدَ إلى نهرٍ نزعَ ثيابَهُ؛ لِيغسلها من ذلك الدّمِ والصّديدِ والقاذوراتِ، وهو مُتَفَكِّرٌ في أمرِ كيفَ كانَ خروجُه من مجلسهِ ومنزلِهِ، و لا يدري أينَ هو من البلدِوما خبرُ أهلِهِ منْ بعده ؟!)،ثمّ ختم الحكايةَ بالعِبْرَةِ المستوحاة من هذه الحكايةِ إذْ قال[9] :(ما تقولُ ؟ وما ترى؟ هل ذلك الغلامُ — يقصد الملك — يريدُ بعد مانجّاهُ اللهُ تعالى من مَبيتِهِ تلك الليلةَ في النّاووسِ العودَ إليهِ، و يشتاقُ إلى معانقتِها، يعني تلك العجوزَ الميّتةَ ليلةً أخرى ؟، قال الفتى : لا! ---- فهكذا يرى الحكماءُ حالَ النُّفوسِ بعد مفارقتها للأجسادِ، وصُعُودِها إلى مَلَكُوْتِ السَّماءِ أَنَّها لا تشتاقُ إلى هذا الجسدِ، ولا تُرِيْدُ العَوْدَ إليهِ).

الحكاية مقطوعة من العالم الذهني لا من العالم الواقعي، ومن طبيعة الحكاية الذهنية عدم تركيزها على الأشياء، بل على تصورها وتمثلها [10]؛ فهي خلتْ من أسماء الشخصيات وتحديد الأمكنة والأزمنة، فعالمها يمكن أن نتخيله، لكن لا يمكن أنْ نضبط حدوده الجغرافية.الحكاية بدات بالفعل الماضيالذي يحمل دلالتين : الأولى زمانية متمثّلة بتقنية الاسترجاع الماضوي، والثانية صوتية سردية متمثّلة بالحُكاة المجهولين الذينَ مثّلهم ضميرُ الجمعِ، والمجهولية جاءت مرتّبةً على النحو الآتي: الحكيم المجهول والفتى المجهول والصوت المجهول (ضمير الجمع)والزمن المجهول والملك المجهولهذا التكثيف لدلالة المجهولية أدّى وظيفة تخييلية مرتبطة بالمتلقي المركزي (الفتى)، فضلاً عن إيحائها إلى الخَلْقِ لا إلى الرّوايةِ،على الرّغم من الإيهامية القصدية، والحكايةُ مبنيةٌ على الحركية والذهنيةفي الوقت عينه، وكانت الحركيةُ بمسار ذي اتجاهين عمودي مقاماً [11] أفقي جغرافياً.

هذه الانتقالات الانتكاسية في الفضاءات المتباينة حققت مفارقة سوداوية، متوجّهة توجّهاً اعتبارياً قاسياً، لا سيّما في التباين الحادّ بين المكان الأنيس ذي القيمة الاجتماعية (دار الملك)، والمكان الموحش ذي القيمة السلبية (الناووس)، وبالتباين تحققت المفارقة ذات العنصر الظرفي وكانت الدهشة إحدى مُخْرجاتها الرئيسة التي حضرت عند الصوت السردي (الفتى) بعد أنْ صحا، وعرف ما جرى له، إذ وصف الراوي الضمني دهشته بقوله : (فلمّا رَأى ذلك الحالَ هالَ)، والهول هنا يُعدُّ أعلى مراتب الدهشة الذاتية، وكانت لأداة المفاجأة (إذا) التي جاءت نصّياً مكثّفة أثرٌ فاعلٌ أسلوبياً في تثبيت الدهشة (وحضرت الدهشةُ عند المتلقي غير المركزي (القارىء)، من خلال ثيمة التوقّع التي يفرزها الإدراك بأثر الوعي الغائب في صنع المفارقة، فالفتى غاب وعيُه تماماً، وجرّه هذا الغياب إلى عدم التمييز بين الأمكنة ممّاأوقعه في أن يكون ضحيّة المفارقة، وبهذا تحققت جمالية سردية متمحورة حول مجهولية صاحب المفارقة، ليلائم ما أُشِّر بصدد تكثيف المجهولية، والتتابع النصي هو الذي يخلق الدهشة أو لا يخلقها عند المتلقي غير المركزي ؛ لأنّ المفارقة تنتجُ — على الأغلب — عن

إدراك عنصر نصّي متوقّع متبوع بعنصر نصّي غير متوقّع[12]، ولكلّ ضحيّةِ مفارقةٍ ردُّ فعل يتجاورُ مع الدهشة، وفي هذه الحكاية كان (الرّعب) مترجماً لردّ الفعل، والرُّعْبُ وحدةً سرديةً زمانيةً فاصلةً بين مكانينِ مختلفينِ متضادينِ تضادّاً تامّاً هما (الوعي/ اللا وعي)، أمّا الذهنيةُ فبلورهاالفعل (ظنّ) وهنا تأتي المظنونات لتسهم إسهاماً فاعلاً في خلق المفارقة، فلقد تكرر الفعل (ظنّ) ثلاث مرّات: (فَظَنَّ أَنَّهَا حُجْرَةُ العَرُوْسِ) و(فجعلَ يناديهم فلم يجِبْهُ أحّدٌ منهم، فَظَنَّ أَنَّ ذلك منْ شدّةِ سُكْرِهِمْ) و(فظنَّ أَنَّها عروسُهُ، فاضطجعَ معها وعانقها)، ويلحظُ القارىءُ اقتران القول بالقضية فالظنُّ قولٌ ذهنيٌّ ونفسيٌّ في الوقت نفسه يتعلق بالذهن من جهة الجزم ويتعلق بالنفس من جهة نفي الجزم [13]، لقد ورّط فعلُ (الظن) بصفته فعلاً يشتغل في حيّز المجهولية الجزئية الفتى الذي خرق المعتاد بوساطة الاضطجاع مع امرأةٍ عجوزٍ ميّتةٍ.

المفارقة المكانية وسّعتِ الهوَّةَ بين الدّالِ والمدلولِ ، فالدّال (الناووس) المرتبط بالفناء والهلاكِ وتجلّي القبح يُصبحُ مرتبطاً بالحياة التي من مباهجها الزواج وقد قيل : إنّه عندما تتسعُ الهوّةُ الدلالية بين الدّالِّ والدّلالةِ تتلاشى معالم المرجعيات الأولى وتتعدد الاحتمالات الممكنة الأمر اتلذيينشىء التّذبذبَ بين لذّةِ التَّقبُلِ وخيبة الانتظار[14]، وهذا الاشتغال من أهمِّ اشتغالات المفارقة التي احتفتْ حينَ اكتشافِها، وحضر نقيضها (الرمز) الذي يبنى على التماثل، فكان الماءُ في الحكايةِ مطهِّراً للجسد الملطّخ بالصّديد والذات الملطّخة بالندم، فضلاً عن ذلك يلحظ القارىء أنَّ المتعةَ الحسّية تتحققُ في الوعي وغيابه، ولكنّ الوعيَ سينفرُ من متعةٍ متأتية من اللاوعي إذا بقيت حقيقتها السلبية عالقة في ذاكرة صاحب الوعيّ، وهذا ما حاول أخوان الصفا [15]إيصاله إلى المتلقي بنوعيه : المركزي وغير المركزي، بتعبير آخر :كان للحكاية رسالةٌ مُرْسَلَةٌ إلىوهم من يهوى الدنيا(المرأة العجوز رمزاً لها) ويعدّها لذَة حسّية،فعند الرحيل منها لن يرغب العودة إليها، وهذه الفكرة فيها إشكالية دلالية بسبب عموميتها.

إنّ تحليل الحكايةِ يدلُّ علىأنّ المفارقةَ ليستْ معنًى مُرادفاً للسخرية، وأنّها أوسعُ من السخريةِ التي هي شَكْلٌ من أشكالها، ولا بدّ أن أشير إلى أنّ االثنائيات المتوافرة في الحكاية كانت مُسَاندةً إلى خلق المفارقة ومن هذه الثنائيات:(الروح والجسد) ، و(الأنس والوحشة) ، و(الوعي ونقيضه) ، و(الدنيا والآخرة)، و(الفناء والبهجة).

ولهذه الحكاية علاقة بالصورة المكانية التي ارتبطت بالعاطفة المتضادَّة بين المكان السارّ أو الذي يوهم بالسرور من جهة، والمكان الواقعي [16]المزعجمن جهة أخرى.ومِنْ تَغيُّرِ وظيفةِ المكان مارواه أحدهم للمأمون عن قضاة حمص إذ قال [17]:(يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ قاضيهم لا يفهمُ وإذا فَهِمَ وَهِمَ، قال : ويحك كيف هذا ؟!، قال : قَدِمَ عليهِ رجلٌ فادّعى عليهِ أربعةً وعشرينَ دِرْهَمَاً، فَأَقَرَّ لهُ الآخرُ، فقالَ : أعطهِ، قالَ : أصْلَحَ اللهُ القاضي، إنَّ لي حِمَاراً اكْتَسَبُ عَلِيْهِ كُلَّ يومٍ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، أُنْفَقُ على الحِمَارِ درهماً، وعليَّ درهماً، وأدفعُ له درهمينِ، حتّى إذا اجْتَمَعَ مَالُهُ غابَ عنّي، فلمْ أَرَهُ فأَنْفَقْتُها، وما أَعرفُ وجهاً إلّا أنْ يحبسَه القاضي اثناعشرَ يوماً أجمعُ لهُ إيّاها،فحبسَ صاحبَ الحقِّ حتَّى جَمَعَ مالَه).

السجنُ مكانٌ للمذنبِ افتراضياً لا لصاحب الحقِّ، و إبدالُ وظيفة التداولية تأسيسٌ لمفارقة نصّيةٍ تحاورَ معها اتخاذ القاضي أَمْرَهُ باستشارةٍ من المشْتَكَى عليهِ الذي كان صاحب المفارقة في كينونة التباين بين المتوقّع وغير المتوقّع، أمّا القاضي وصاحب الحقِّ فكانا ضحيّتي

المفارقة وترك الراوي للمتلقي غير المركزي تصوّرَ ردَّ فعل هاتين الضحيتين(القاضي وصاحب الحقّ)، في الحكاية خطابُ استهانةٍ للقضاة وشكوى عليهم مُضْمَرَةٌ، وفيها قصدية واضحة وهي جزءٌ من المستوى الانتقادي.وهناك علاقةٌ بين المفارقة المكانيةِ وحُسْنِ الإجابةِ كما هي الحال في أَخْذِ الخليفة العبّاسي المتوكّل على الخليفةِ عثمانَ بن عفّان (رض) أنّه لم يفعلْ ما فعله الخليفةُ أبو بكر الصّديق(رض) إذ قام دون مقام الرسول (ص) بمرقاة[18]، ثمّ قامَ الخليفةُ عُمُرُ بن الخطّاب(رض) دون مقام أبي بكر بمرقاة، لكنّ الخليفةَ عثمان صعد ذروة المنبر فأجاب عُبَادةُ المتوكِّلَ [19] وكان أحّدَ جلسائه:

(ما أحّدٌ أعظمُ مِنَّةً عليك يا أميرَ المؤمنينَ مِنْ عُثْمانَ،قال :كيف ذلك؟!، قال : لأَنَّهُ صعدَ ذُروةَ المنبرِ، فلو أَنَّهُ كلّماقامَ خليفةٌ نزلَ عمّن تقدّمَهُ كنتَ أنتَ تخطبُنا مِنْ بئرِ جلولاءَ، فضحك المتوكّلُ من قولهِ)، إنّ إجابةَ عبادة خلقت مفارقة مبنية على أمرين هما : المنهج المنطقي المنتمي إلى المستوى الحجاجي والطُرفة المنتمية إلى المتعة، وكان المكانُ(المنبر) فاعلاً سردياً في الحكاية ومؤسساً لموقف المتوكّل أو موقف عبادة، وتفاعلت قصدية اختيار المكان الآخر القَصي في الحكاية مع قصدية الإجابة فأنتجتا ضحك المتوكلالذي كان ردّ فعل للمفارقة. إنّ الذي أضحك المتوكّل هو الخرق للسلسلة التداولية لخطبة الخليفة، فالمعتاد في الذاكرة الجمعية هو المنبر المكان العالي لا أنْ يخطب في مكانين لا تقبلهما الذاكرة وهما البئر وجلولاء، لكنهما تقبلهما الذاكرة المنتمية لقبول الطاعة والتقليد للمقدّس، هذا هو كنه المفارقة المتحقق في الحكاية إنه التوتّر القائم بين الذاكرة الجمعية والذاكرة التقديسية، وكان للمفارقة وظيفة تفكيكية إذ فككت رأي المتوكّل في الخليفة عثمان (رض) الذي بدا متماسكاً ذا دليل، ثمَ أشار فعل (الضحك) إلى تبدّلهِ، وحضر التوتر بين اختلاف زمني الصوتينِ السردييناِلرئسينِ(عثمان والمتوكل) وثبات المكان الخالق للمفارقة (المنبر) وهذان التوتران توتر الذاكرتين وتوتر الفضاء سارا سيراً متوازياً في الحكاية، فتحققت المفارقة المضحكة المنتمية إلى اللغة المعبّرة عن المضْحكِ وقد أشار برجسون إلى هذا الانتماء بقوله [20]: (يجب أنْ نُميّزَ بينَ المِضحكِ الذي تعبّر عنه اللغةُ، وبينَ المِضحكِ الذي تخلقهُ اللغةُ، فأمّا الأوّلُ فمنَ الممكنِ،عند الاقتضاء، أنْ يُتَرْجَمَ إلى لغةٍ أُخرى، ولو فقدَ القسمَ الأعظمَ من رونقهِ ؛ بانتقاله إلى مجتمع جديد مختلف عن الأوّل بعاداته وآدابه، وبتداعيات أفكارهِ على وَجْهِ الخُصوصِ، وأمّا الثاني فهو بوجهٍ عامٍّ مُمْتنعٌ على الترجمةِ) ،

ومن العنصر الظرفي مفارقة الاستباق الزمنية وتتضح هذه المفارقة في حكايات القدرة التنبؤية التي تسمّى علم القيافة أو العيافة أو التنبؤ أو الزكن ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ العربيَّ لم يكن كاهناً ؛ كي تكثرَ حكايات الكهنة، بل كان قيّافاً ذا قوةٍ عقليّةٍ تقترب من استشراف الحدث زمنياً وهذه القوة العقليةتتألف من وظائف ثلاث هي [21] :

1- تصوّر المستقبل.

2- تفهّم المجهول من المعلوم.

3- الخروج من نطاق الحقيقة المألوفة واختراع ما هو أشبه بالحقِّ و أقرب إلى الباطل.

وسأحاولاستعراض بعض النماذج الحكائية التي توضّح العلاقة بين عقل العربي والعنصر الظرفي للمفارقة ومن ذلك الحكاية الآتية[22]:(وَحَدَّثَنَا أبو الحُسِيْنِ، قالَ : اجْتَزْتُ أنا وأَبو طاهرٍ بن نَصْرِ القاضي، بشارع القاضي، نَقْصِدُ دَارَ قاضي القُضاةِ أَبي الحُسينِ، في

عِلَّتِهِ التي ماتَ فيها، لنعودَه، فَإِذَا بثلاثةٍ مِنَ الأَعْرابِ ركبان، فَسَأَلَ أَحَدُهُمْ رَأسَهُ، وَقَدْ سَمِعَ غُراباً ينعبُ على حائِطِ دارِ أبي الحُسينِ قاضي القُضاةِ، فقالَ للنفسينِ اللذينِ خلفَهُ : إنَّ هذا الغُرابَ لَيُخْبِرَني بِمَوْتِ صَاحِبِ الدَّارِ، فقالَ لَهُ الآخرُ: نعم، ويُدفَنُ في دارِه، فقلتُ : أسمعتَ ما قالوا ؟ فقالَ : نعم، فقلتُ : هؤلاءُ أجْهَلُ قومٍ، وافترقْنا.فلمَّا كانَ في ليلةِ اليومِ الرَّابع سَحَرَاً، ارْتَفَعَتِ الصَّيْحَةُ بِمَوْتِ قاضي القضاة أبي الحسينِ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ الأَعْرابِيُّ، وَعَجَبْتُ، وحَضَرْنَا جَنَازَتَهُ، وَدُفِنَ في دَارِهِ، فقلتُ لأَبي طاهرٍ: رَأَيْتَ أَعْجَبَ منْ وقوعِ مَقَالَةَ الأَعْرابِ بعينها؟!، فقالَ : لا واللهِ، ما أَدْري، ولكنْ تعالَ حتَّى نسأَلَ عنهم ونَقْصِدَهُمْ، وَنَسْتَخْبِرَ منهم منْ أَيْنَ لهم ذلك؟قالَ : فكُنَّا أَيَّاماً، نَسْأَلُ عَنْهُمْ، وَعَنْ حِلَّتِهِمْ منَ البلدِ، فلا نُخْبَرُ،إلأ أَنْ أَخْبَرُونَا بنزولِ حِلَّةٍ منْ بني أَسَدٍ ببابِ حَرْبٍ، فَقَصدناهم، فقلنا : هل فيكم منْ يُبْصِرُ الزَّجْرَ؟، فقالوا : أَجلْ، ثلاثة أُخوةٍ في آخرِ الحيِّ، يُعْرَفونَ ببني العائفِ ودلُّونا على أَخْبِيَتِهِمْ، فجئْنا، فَصَادَفْنَا أَصْحَابَنَا بِأَعْيَانِهِم، وَلَمْ يَعْرِفُونَا، فَأَخْبَرنَاهم بما سمعناهُ منهم، وسَأَلْنَاهم عنه، فقالوا : إِنَّا، وَغَيْرَنَا منَ العَرَبِ، نَعْرِفُ نَعِيْبَاً للغُرَابِ بعينهِ، لا ينعبُه في موضعٍ إلا ماتَ ساكنُهُ، مُجَرَّبَاً على قديمِ السّنينِ في البوادي، لا يُخْطِئونهُ، وَرَأَيْنَا ذلك الغُرَابَ، نعب ذلك النعيبَ الذي نعرفُهُ، فقلْنا للآخر : كيف قلتَ : إِنَّهُ يَمُوْتُ بَعْدَ ثلاثةِ أَيَّامٍ ؟، قالَ كانَ ينعبُ ثلاثاً مُتَتَابعاتٍ، ثُمَّ يسكتُ، ثُمَّ ينعبُ ثلاثاً على هذا، فَحَكَمْتُ بذلك، فقلتُ للآخرِ: وكيفَ قلتَ : إِنَّهُ يُدْفَنُ في دارِهِ؟ قال : رأَيْتُ الغرابَ يحفرُ الحائِطَ بِمِنْقارِهِ، ورجليهِ، ويحثو على نفْسِهِ التُّرابَ، فقلتُ: إنَّهُ يُدْفَنُ في دارِهِ).كانت وحدة الاستباق الزمنية علامة فارقة في الحكاية ؛ لأنّها ربطت بينَ زمن الحكاية الداخلي المتمثل في الحوار وزمن التوقّع الذي جاء على وجهتين : وجهة الراوي الضمني الذي أنكر ما توقّعه الأخوة الثلاث ووجهة الأخوة الثلاث الذين توقعوا، والسمة المتحققة في الحكاية هي سمة الدهشة عند الراوي الضمني والملحوظُ أنَّ الزكن قد تحقّقَ بوساطة مُعيناتٍ هي : (صوت الغراب) ،و(الغراب كان ينعب ثلاثاً متتابعات)، و(حركة الغراب)،وأظنُّ أنّ الزكن عامل اجتماعي ونفسي وزمني في الآن نفسه، وهذا الأمر موافق للشائع عن الذات البشرية بأنها مفطورة على ثلاث تقنيات هي [23]: الذاكرة ،والانتباه ، والتوقّع، فالذاكرة مرتبطة بالماضي والانتباه مرتبط بالحاضر والتوقّع مرتبط بالمستقبل، وعلاقة المفارقةبالتقنية الثالثة أوسع مدًى من علاقتها بالتقنيتين الأولى والثانية.وقد أشيرَ إلى العلاقة بين النفس أو الجسد واللغة غير اللسانية بالآتي[24] :

(تحتاج النفس — تحقيقاً لمطلب التعبير وخلْق المعنى– إلى الجسد {الإيماءات والإشارات والاستعدادات }، وهذا معناه أنَّها تحتاج إلى دعامة فضائيةأي إلى الخرجنة الحركية أو الديناميكية ونشأة المكان يشهدان على النفس)وهذه المعينات الثلاثة مرتبطة بالسيميائية، أي : بحقل المتشابهات وتوافرتِ المفارقة الزمنية[25] في جزئياتها، لا في كليّاتها وفي اللحظة عينها توافرت في الجانب الآخر المراقب الذي تباين عنده الأمرُ بين استهزائه بما توقَّعَ الأخوة، واتهامهم بالجهل إذ قالَ: (هؤلاءُ أجْهَلُ قومٍ)، ثُمَّ عادَ يَبْحَثُ عَنِ الأُخْوَةِ الثَّلاثةِ مع رفيقهِ ؛ ليعرفَا كيف توصّلَ هؤلاء الأخوةإلى التوقّع الناجح، عموماً تمثل هذه الحكاية نسقاً مشتركاً بين المفارقة المبنية على العنصر الظّرفي الاستباقيوالسّيميائية التي — على الأغلب — تختفي المفارقةُ في بِنْيَتِها الكلّية، إنَّ المفارقةَ خَلَقَتْ توتّراً لاءمَ التوتّر الذي خَلَقَتْهُ الحكاية الدائرة بين حَدَسِ الأُخْوَةِ ومَوْقِفِ الرَّقيبينِ فضلاً عن أنَّها لم تُخْلَقْ في زمنٍ منقطع وإنما في توالية زمانية ممتدّة من الحاضر إلى المستقبل إلى الحاضر بحلقة دائرية ومكانية ومعلومٌ (أَنَّ الزّمانَ مدينٌ بتواصليتِهِ الفعليةِ ؛ لارتباطه مع المكان، وبدون المكان فسيكون الزمان مجرّد سلسلة من اللحظات اللا متّصلة)

[26]، فضلاً عن انّ للزمان علاقةً بين الثيمات الآتية : الحياة والأرض والفعل والإرادة والجبر والاختيار[27] وقد عُرِفَ إيّاس بن معاوية بن قُرَّة المزني بالزكن بوصفه فعلاً وإرادةً حتّى ضُرِبَ بهِ المثَلِ [28]: (أزكن من إياس) ، ومنالمفارقة المكانيةالمتعلّقة بزكن إياس الذي كان قاضي البصرةسنةً في خلافةعمر بن عبد العزيز ما رواه الميداني عنه في الحكاية المضْمَرَةِ الآتية[29]: (إنَّهُ سَمِعَ نُبَاحَ كَلْبٍ لم يَرَهُ، فقالَ : هذا نُبَاحَ كَلْبٍ مَرْبُوْطٍ على شفيرِ بئرٍ ، فَنَظَرُوافكانَ كما قالَ، فقيلَ لهُ في ذلك، فقالَ : سمعتُ عِنْدَ نُباحِه دَوياً من مكانٍ واحدٍ ، ثُمَّ سمعتُ بعده صدًى يُجيبُهُ، فعلمتُ أَنَّهُ عند بئرٍ).

إنَّ المكانَ المخفي عند الجماعة لم يكن مخفياً عند إيّاسٍ وهذه الثنائية (الجهل والعلم) هي التي ساعدت في خلق المفارقة، وتُخْلَقُ المفَارَقَةُ في العلاقة بين المكان والوَهْمِ المنْتَج مِنْ قِبَلِ الصوت السردي الذي هو جزءٌ مهمٌّ من أجزاء العنصر الظرفي كما هي حال الحكايةِ المضْمَرَةِ في المثل العربي (ماءُ عِناق) وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ للدّاهيةِ والأمرِ الملْتبس وكانَ مِنْ حديثه[30]:(إنَّ رَجُلاً بَيْنَا هُوَ يَسْقِي وَبَيْتُهُ تِلْقَاْءَ وَجْهِهِ، إِذْ نَظَرَ فَإِذَاْ بَرَجُلٍ قَدْ عَاْنَقَ امْرَأَتَهُ يُقَبِّلُهَا، فَأَخَذَ العَصَاْ، وَأَقْبَلَ مُسْرِعَاً، فَلَمَّاْ رَأَتْهُ المرْأَةُ أَخْفَتِ الرَّجُلَ فِيْمَاْ بَيْنَ النَّضْدِ، فَنَظَرَ يَمْنَةً وَيْسَرةً، فَلَمْ يَرَ شَيْئَاً، فَنَظَرَ في الأَرْضِ فَلَمْ يُبْصِرْ أَحداً، فَكَذَّبَ بَصَرَهُ، وَكَرَّ رَاْجِعاً، فَلَمَّاَ كَاْنَ الوِرْدُ الثَّاْنِيْ قَاْلَتِ المرْأَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ أُكْفِيَكَ السَّقْيَ وَتتورّعَ اليَومَ؟ قَاْلَ: نَعَمْ – إِنْ شِئْتَ – فَأَقَاْمَ في البيْتِ، وَانْطَلَقْتْ تَسْعَى، وَتَحَيَّنَتْ مِنْهُ غَفْلَةً، فَأَخَذَتْ العَصَاْ وَأَقْبَلَتْ حَتَّى عَلَتْ بِهَاْ رَأَسَهُ، فَقَاْلَ: وَيْلَكَ! وَمَا دَهَاْك؟ قَاْلَتْ: أَيْنَ المرْأَةُ التي رَأَيْتُكَ مَعَهَاْ مُعَاْنِقَاً لَهَاْ؟ فَقَاْلَ: وَاللهِ مَاْ كَاْنَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ، قَاْلَتْ: بَلْ أَنَاْ نَظَرْتُ إِلِيْهَاْ بِعَيْنِيْ، وَأَنَاْ عَلَى الماْءِ، فَتَحَاْلَفَاْ، فَلَمَّاْ أَكْثَرَتْ، قَاْلَ: إِنْ تَكُوْنِيْ صَاْدِقَةًفَإِنَّ مَاْءَكُمْ هَذَاْ مَاْءُ عِناق فَصَاْرَ مَثَلاً يُضْرَبُ للدّواهي).

إنَّ القراءة الفاحصة للوحدات السردية الحكائية ستدل على أنَّ الحِجاجَ كان المهيمن علىمضمونها وهو حِجاج مبني على التمحل(الحيلة) والإخفاء واستخدام تقنيتي المرآة والخداع البصري الوهمي، فوقع الرجلُ ضحيّةً لهما، إنَّ المستوى الحجاجي في هذه الحكاية سلك مقدّمات كاذبة ليصلَ إلى نتائج إقناعية لا لبسَ فيها، وهذهِ المخالفة بين المقدمات الكاذبة وحقيقتها كانت عاملاً مساعداً في جعل المفارقة حاضرةً بين رُكني الحجاج الرّجل المخدوع والمرأة الخادعة، وبُنِيَ الوهمُ في ذات الآخر بمساعدة المكان، ولقد كان الرجلُ (الزوج) ضحيّةَ المفارقة التي أسستها الزوجة بوساطة التمحيل المدعوم بخطاب الاستغفال، وعكس الحقيقة البصرية للضحيّة عكساً تامَّاً، ومُقْنِعَاً لها في الوقت نفسه،إذ جعلهُ هذا العكسُ من باب ردّ الفعل أنْ يجترحَ جُمْلَةً من لفظتينِ لا رابطَ بينهما في الأصل، وفي هذه الحكاية كان الاستغفال فردياً، وربما يكون الاستغفال جماعياً متعلّقاً بالمكان كالذي ذُكِرَ عن أهل واسط أيّام الحجّاج في المثل العربي[31]: (تغافلْ كأَنَّكَ واسطي قيل :إنَّ الحجَّاج كانَ يُسَخِّرُ أَهْلَ واسطِفي البناءِ، فكانوا يهربونَ وينامونَ في المسجد، فيجيء الشرطيُّ ويقول : يا واسطيُّ، فمنْ رفعَ رأْسَهُ أَخَذَهُ وَحَمَلَهُ ؛ فلذلكَ كانوا يتغافلون)، التغافل في هذا المثل وحكايته المضْمَرة تغافل مقصودٌ لا تغافلٌ طبعي، والمفارقة التي ينتجها التغافل الطبعي أقلُّ جمالية –على الأغلب– من تلك التي ينتجها التغافل المقصود والتي تسمى (مفارقة سقراطية) إذ كان يستخدم الأسلوب الناعم الهادىء الذي يستخفُّ بالنّاس [32]، وقد ظهرت في التراث العربي مجموعة (الصفاعنة) عُرِفَتْ بالتغافل المقصود، يقولون عن أنفسهم [33]:(نحن معاشرَ الصّفاعنة خُلِقْنَا حُلَمَاءَ إذا خرقَ علينا الجاهلُ لقيناهُ بالتغافل)،وقد أعطى أبو حيّان التَوحيدي توصيفاً اجتماعياً دقيقاً حين قال[34]:(تعايش الناس ملء مكيال، ثلثاه فطنةٌ وثلثه تغافل.)، وهذا توصيف يمتاز بديمومته الزمنية، وسعته المكانية في

الآن نفسه، وقيد قيل[35]:(سئل حكيم: ما اللبيب؟ فقال: الفطن المتغافل)،هنا اقترن التّغافل بالذهن الفطن الذّكي.وقد تتحقق مفارقة الاستباق[36] تحقّقاً اعتباطياً من دون رَكنٍ أو درايةٍ بعلم التنبؤ، كماهي الحال في الحكاية الآتية [37]:(حدثنا جعفر الخلدي، قال : حدثنا الخواص الصوفي، قال : ركبت في البحر مع جماعةٍ من الصوفيةِ، فلمّا أوغلنا فيه كسر بنا، وركبنا خشباً من خشبِ المركبِ، ونجا منّا جماعةٌ، فوقعنا إلى ساحلٍ لا ندري أين هو؟ ولا ماهو؟، فأقمنا فيه أياماً، لا نجدُ ما نقتاتهُ،وأحسسنابالهلاك.فاجتمعنا، وقال بعضُنا لبعضٍ : تعالوا حتّى نجعلَ اللهَ عزَّ وجلَّ على أنفسِنا إن هو خلصَنا من هذا المكانِ وأحيانا أنْ ندعَ له شيئاً ، فقال بعضنا : لا أفطرُ الدهرَوقالَ بعضُنا:أصلّي كلَّ يوم كذا وكذا ركعةًوقال بعضُنا : أدَعُ الكذبَإلى أنْ قال كلُّ واحدٍ من الجماعةِ شيئاً.وقالوا لي : ما تقولُ أنتَ؟فقلتُ : لا آكلُ لحمَ فيلٍ أبداً.فقالوا : ماهذا الهزلُ في هذا الموضعِ؟!فقلت :واللهِ، ما تعمدتُ الهزلَ، ولكنّني منذُ بدأتمْ أعرضُ على نفسي شيئاً أدعهُ للهِ عزَّ وجلَّ، فلاتطاوعني نفسي إلى غيرِ هذا الذي لفظتُ بهِ، وما قلتُ إلا ما أعتقدته.فقالوا : لعلَّ لهذا أمراً.وتفرقنا بعد ساعةٍ، نطوف تلك الأرضَ، نطلبُ شيئاً للأكلِ فوقعنا على فرخ فيلٍ في نهايةِ السمنِ، فأخذه أصحابُنا، واحتالوا فيهِ، حتَّى ذبحوهُ،وشووه.وقالوا :تقدّمْ،فكُلْ.فقلتُ :منذُ ساعةٍ تركتُه للهِ عزَّ وجلَّ، ولعلَّ ذلك الذي جرى على لساني من ذكره إنّما هو سبب موتي ؛ لأنّي لم آكلْ منذُ أيّامٍ شيئاً، ولا أطمعُ في شيءٍ آخرَ آكلهُ، وما يراني اللهُ أنقضُ عهدَهُ، فَكَلُوا، واعتزلتهم.فأكلوا، وشبعوا، وعاشوا، وأقبلَ الليلُ، فتفرقوا في مواضعهم التي كانوا يبيتون فيها، وآويتُ إلى أصلِ شجرةٍ كنتُ أبيتُ عندَها.فلم يكنْ إلا ساعةً، وإذا بفيلٍ أقبلَ من الموضعِ الذي استخرجنا منه الفرخَ، وهو ينعرُ، والصحراءُ قد امتلأتْ بنعيرهِ وشدَّةِوَطْأتِهِ وهو يطلبنا.فقالَ بعضُنا لبعضٍ : قد حَضَرَ الأَجَلُ، فاستسلموا، وطرحوا أنفسَهم إلى الأرضِ على وجوههم.فجاء الفيلُ وجعلَ يقصُدُ واحداً واحداً، فيشمهُ من أوَّلِ جسدِه إلى آخرهِ، فإذا لم يبقَ منه موضعٌ إلا شمَّه شالَ أحدَ قوائمه فوضعَها على الرَّجُلِ حتّى يفسَخَه، فإذا علم أنَّهُ قدْ تلفَ شال قائمتَه وقَصَدَ الآخرَ، ففعلَ بهِ مثلَ فعلِه بالأوَّلِ.وظلَّ على هذا، إلى أنْ لم يبقَ غيري، وأناجالسٌ مُنْتَصِبٌ، أشاهدُ ما يجري، وأدعو، وأستغفرُ، ما طرحتُ نفسي، ولا هربتُ إلى أن قصدني فحينَ قرُبَ منّي طرحت نفسي على ظهري، فجاءَ حتَّى تشمّمني من سائر أعضائي، أو أكثرِها، كما فعلَ بأصحابي، ثمَّ أعاد تشمّمي مرّتين أو ثلاثاً، ولم يكن فعلَ ذلكَ بهم، ثمَّ لفَّخرطومَه عليّ، وشالني في الهواءِ فقلت : هذه قتلةٌ أخرى، يريدُ أنْ يقتلَني بها، فما نحّى خرطومَه عنّي حتّى جعلني فوقَ ظهرِه، فانتصبتُ جالساًوحفظتُ نفسي،وحمدتُ اللهَ سبحانَه وتعالى على تأخّر القتلِ، وجعلتُ أعجبُ مرّةً وأتوقّعُ القتلَ مرّةً أخرى، والفيلُ يهرولُ، ويسرعُ إلى أن أضاء الفجرُ، فوقفَ وأصعدَ خرطومَه إليَّ، فقلتُ : حَضَرَ الأجلُ، فلفّه عليَّ ، وأنزلني على رفقٍ إلى الأرضِ وتركني عليها، وجعل يسعى في الطريقِ التي جاء منها، وأنا لا أصدّقُ.فلمّا بَعُدَ عنّي، حتَّى لم أره، أقبلتُ أدعو وأصلّي، وتأملتُ موضعي ، وإذا أنا على محجَّةٍ، فمشيتُ عليها نحو فرسخينِ، فإذا بلدٌ عظيمٌ قد لاحَ لي، فقصدتُهُودخلتُه، فإذا هو بلدٌ من بلدان الهند عظيمٌ، وذكر اسمَه.قال :فعجبَ أهلُه منّيوسألوني عن قصَّتي، فأخبرتهم بها).

إنّ المفارقةَ في هذه الحكايةِ في مستواها الظرفي زمنية ضمن سردٍ متتابعٍ وفي الوقت عينه متعالقة مع الهاجس النفسي، فنفسُ الصوت المركزي بدت كأنّها تعلم ما سيجري، وأنّ كليَّةَ الصَّوتِ منقادةٌ لجزئية الذاتِ، ممّا أثار تعجب الأصوات السردية المساهمة، والوحدات السردية في متتاليتها البارزة لم تكن مُقْنِعَةً ؛ لأنّها أعطت قيمةً للخطاب لا للفن، لكن تبقى المقبولية خاضعة لمبدأ

القضويةوالقضوية– بطبيعة الحال – زمنية،فالقارىء في عصر ما يختلف عن القارىء في عصر آخرَ، ونستفيد من الإشارة السردية للصوت السردي (الراوي االضمني) بنسبته للصوفية كي نسوّغَ عقلنته للفيل المتزامنة مع سحب التفكير من الأصوات السردية وخضوعهم للقوة مرّتين : المرّة الأولى للقوة الشهوانية التي حفّزها الجوع المستمكن في ذوات الأصوات التي من نتاجها أكلهم لفرخ الفيل والمرّة الثانية خضوعهم للفيل الكبير ونومهم عاجزين على وجوههم، ولعلّها درسٌ في تبرئة الذات من خلال قبولها العقوبة، ومن معينات المفارقة في هذه الحكايةِ ثيمتا الاختلاف والمغايرة اللتان اتّسمَ بهما الصوتُ السردي فهو لم يضع على نفسه شرطاً معقولاً فغايرهم مغايرة كبيرة، وكان العقل الباطني فعالاً في فرض الشرط على الذات، فضلاً عن صبره على الجوع المهْلِكِ والتزامه بما فرضه على نفسه، لقد كان هناك حقلان للأصوات السردية هما الأصوات السردية التي مثّلها حرف (واو الجماعة)، والصوت السردي المركزي، وهذه المغايرة تُعَدُّ جزءاً من الصيرورة،أو هي الصيرورة نفسها [38]، إنّ أفعال الصوت السردي في هذه الحكاية محكومٌةٌ بالظرف غيرِ المستقر والمتحوّل من فضاء البحر إلى فضاء الصحراء، ولكلّ فضاءٍ لحظةَ الخوفِ مُنقذاتُه، فالمنقذاتُ من هلاك البحر هنَّ الخشباتُ ومن هلاك الصحراء البحثُ المقترنُ بالدعاء المشروط، وكان اختيار الصوت السردي المهيمن للفيل اختياراً خطابياً يدلُّ على انّ الحكاية تنتمي إلى السرد الحكائيالإمكاني المخْتَلَقِ.

في الحكاية اختزال نصي كبير اشتغل عدسةً في النصّ وموجّهاً للمتلقي غير المركزي في تفعيل الغرض التوجيهي وبيان فاعلية النفس البشرية في إمكانية استشراف المستقبل حدّ التوقع المطابق لما سيحدث مستقبلاً، والحذف السردي تقنية جمالية تعني قفز الحكاية فوق لحظة زمنية [39]وقد تحققت في الحكاية مفارقة موقف بجوار مفارقات العنصر الظرفي تمثلت في الخضوع للموت من قبل آكلي الفيل ولعلّ المحفّز لهذا الفعل نفسي يتعلق بقتل القلق من خلال التحوّل إليه، وهذه الحكاية أثبتت الآتي :

1- صحة الفكرة القائلة بارتباط الأمكنة بالقوة [40].

2- زمن المصادفة هو الزمن الخاص لتداخل القوى غير العقلانية في حياة الإنسان كتدخل القدر –كما هي الحال في هذه الحكاية–والشياطين والسَّحَرَةِ، وما يميّز هذا الزمن التزامن العارض وغير التزامن العارض،إذ ينقطع مجرى الأحداث الطبيعي، أو المعقول ليحلّ بدلاً عنه زمن المصادفة الخالصة بمنطقها الخاص [41].

3- إن العنصر الظرفي مرتبط بالحدس أو الشعور.

4- في الحكاية تزامنية قبل تصاعد الحبكة، وتعاقبية بعد تصاعدها.وللعنصر الظرفي المنتج للمفارقةِ علاقة بالتأويل والحكاية الآتية توضّح هذه العلاقة [42]:

(لما خرج محمّد بن عبد الله بن الحسن بن حسن.... على المنصور رأى المنصورُ فيما يراهُ النائمُ كأنَّه قد صارعَ محمَّداً، وأنَّ مُحَمَّداً صَرَعَهُ، وقعد على صدره فَهَمَّهُ ذلك، ونفى راحتَه، وجمع العابرين، فكلٌّ وقف، فسألَ جدَّ أبي العيناء، فقال: إنَّك تغلبُه، وتظهرُ عليه،قال: وكيف ؟، قال :لأنَّكَ كنتَ على الأرضِ، والأرضُ لكَ، وكان هو فوقك والسماءُ له، فسُرِيَ عنه).

إنَّ تأويل العابرين (أصحاب تأويل المنامات) لم يرق للمنصور حتّى جاءه جدُّ أبي العيناء فأعطى تأويلاً مقلوباً للمنام ليحقق مفارقة مبنية على التقاطب المضاد للأمكنة، وهذا التأويل ذو تقنية نفسية لا تقنية علمية، واعتمد على قوة الكلمة لا على قوة الفعل، ممّا أثار إعجاب المنصور الباحث عن التخلص من خوف الزمن المستقبلي، وأنَّ القلب التأويلي لاءمَ سمة المفارقة الرئيسة في انحيازها المطلق إلى التباين والمغايرة، وقدأتقن المؤوّلُ تأويله حينجعل الثيمات الذهنية ثيماتٍ زمنية محوّلاً في الوقتِ نفسه وظيفة المكان الفيزياوي بشقيه العلوي والسفلي إلى الجهة الأخرى المختلفة عن جهة الاتصال اختلافاً كاملاً مستفيداً من طبيعة الأرض ووظيفتها المشتركة مع الثبات، وطبيعة السماء ووظيفتها المشتركة مع الحركة وماتحويه من فعل الطيران ؛ لذا فتأويله لم ينطلق من فراغ تام، بل اعتمد على منطلقات لها شيء من المقبولية، وهذا الإجراء التأويلي إجراء جمالي لأنّه بدا منتمياً للفطنةوالجدّة ومعرفة مايريده الخليفةُ، وأركان المفارقة الثلاثة في الحكاية هي: التأويل الذي مثل نصّ المفارقة والمؤول (جدّ أبي العيناء) الذي مثّل صاحب المفارقة، بينما كان المنصور ضحيّةَ المفارقةِ الذي سُرَّ بها، ولعلَّ هذا ردُّ فعل متميّز عمّا اشتُهر من ردودر أفعال ضحايا المفارقة. وفي الحكاية الآتية يجدُ القارىء ارتباطاً دلالياً بين القول والفعل والمكانلتكون هذه المكونات الثلاثة مرتكزاتٍ لخلق المفارقة[43] : (تعرّضَ إعرابيٌّ لمعاويةَ في طريقٍ وسألَهُ، فَمَنَعَهُ، فَتَرَكَهُ ساعةً، ثمَّ عاودَهُ في مكانٍ آخرَ، فقالَ لهُ : ألمْ تَسْألْني آنفاً ؟!، قال : بلى، ولكنْ بعضُ البقاعِ أيمنُ منْ بعضٍ، فَوَصَلَهُ)حضرت البدهية في جواب الأعرابي لتشتغل وسيلةً إقناعيةً، وهذه البدهية هي قريبة من الأسلوب الحكيم، فضلاً عن ذلك فإنها حوت الإسرار وتقسيماً جديداً للأمكنةالفيزياوية وأثرها غير المادي والغاية من هذا التقسيم الحصول على المسألة، والخبر فيه توتّر بين متناقضين في الأثر، متشابهين في التكوين، بين مكانٍ غير مُنْتِجٍ ومكانٍ مُنْتِجٍ، والصوت السردي الفاعل هو المحدِّدُ لفعل الإنتاجية، لكنّه تحديدٌ مشروطٌ بفعلٍ آخرَ يوازيه هو فعل الإقناع. وقد يكون المكانُ الخالقُ للمفارقة غيرَ فيزياوي ومنه[44] : (عَشِقَ رجلٌ جاريةً كانت لقومٍ ذوي يسارٍ، فكتب إليها يوماً : جُعِلْتُ فِداكِ، عندي اليومَ أصحابي، وقد اشتهيت سكباجةً[45]بَقَرِيَّةً، فأحبُّ أن توجّهي إلينا بما يعمُّنا ويكفينا،ودستجةً[46]،من نبيذٍ لنتغذى بها ونشربَ على ذكركِ، فلمّا وصلتِ الرُّقْعَةُ وجّهتْ إليهِ بما طلبَ، ثمّ كتب إليها يوماً آخرَ : فدتكِ نفسي، إخواني مجتمعون عندي، وقد اشتهيتُ قَلِيَّةً جزوريَّةً[47]فوجّهي بها إليَّ، وما يكفينا من النبيذ والنَّقلِ ؛ ليعرفوا منزلتي عندكِ، فوجّهت إليه بكلِّ ما سألَ، ثمَّكتبَ إليها يوماً آخرَ: جُعِلتُ فداكِ،قد اشتهيتُ أنا وأصحابي رؤوساً، فأَحِبُّ أن توجّهي إليَّ بما يكفينا، ومن النبيذِ ما يروينا، فكتبتِ الجاريّةُ عند ذلك : إنِّي رأيتُ الحُبَّ يكونُ في القلبِ وحُبُّكَ هذا ما تجاوزَ المعدَةَ!).

إنَّ الحكاية مبنيةٌ على التّكرار المتوازي الطلبي المتمحور في ثلاث بنيات هي : الطلب بالدعاء غير الخاضع لقاعدة ومضمونه الفداء بالنفس وطلب الطعام و طلب إرساله، وكان للتكرار أثرٌ في تبنين الاستغراب في ذات الجارية التي صارت ضحيّةَ المفارقة لتجبيه بمفارقة قوليةٍ أسُّها المغايرة في المكانإذ جعلها تقتنعُ أنَّ هذا المحِبَّ حبُّه في المعدة لا في القلب وهنا تغيَّرت وظيفتاهما (القلب والمعدة) بوساطة الاستبدال التام ممّا ساعد في صنع المفارقةفي مستواها الظرفي، والظاهر أنَّ هذا الرّجلَ كان طفيلياً، وظاهرة التطفيل شاعت في العصر العباسي وارتبطت بالسخرية المتأتية من غرابة الفعل المجاورة لغرابة الجواب، وبهذا يكون حافز التكرار الطلبي نفسياً وسلوكياً في الوقت عينه، إذ يُقدِّم الطفيلي الطعام على كلِّ احتياجاته الأخرى. ويؤثر المكان الجغرافي في دلالة الحكاية ومضمونها فالحكايات التي جرت

احداثها في الأماكن ذات القداسة الدينية غير الحكايات التي جرت أحداثها في أماكن لا تقديس فيها، وهناكأماكن اختصت بنوع من الحكايات فالهند —على سبيل المثال لا الحصر – مكان جغرافي لحكايات السحر والاستحالة البعيدة عن المعقول ومنها الحكاية الآتية [48]:(حدَّثني القاضي أبو بَكْرٍ أحمدُ بن سيّار، قالَ حدَّثني شيخٌ منْ أَهْلِ التّيزِ ونكرانَ رأيتُهُ بِعُمَانَ، ووجدتهم يذكرونَ ثقتَهُ، ومعرفتَهُ بالبحرِ، وأَنَّهُ دخلَ الهندَ، والصّينَ، قالَ : كنتُ بِبِعْضِ بلادِ الهندِ، وقدْ خرجَ على ملكِها خارجيٌّ، فأنفذَ إليهِ الجيوشَ، فَطَلَبَ الأمانُ فأَمَّنَهُ،فَسَارَ ليدخلَ إلى بلدِ الملكِ، فلمَّا قَرُبَ، أخرجَ الملكُ جيشاً ؛ لتلقّيهِ، وَخَرَجَتِ العامَّةُ تنظرُ دخولَهُ، فخرجتُ معهم، فلمّا بعُدنا في الصَّحراءِ وقف الناسُ ينتظرونَ طلوعَ الرَّجُلِ، وهو راجلٌ، في عدّةٍ من رجالِهِ، وعليه ثوبُ حريرٍ و مئزرٍ، وفي وسطه مِدْيَةٌ مُعْوَجَّةُ الرَّأْسِ وهي من سلاحِ الهندِ، وتسمَّى عندهم حزّى.فتلقوه بالإكرام ومشوا معه، حتّى انتهى إلى فِيَلَةٍ عظيمةٍ قد أُخرجتْ للزينةِ، وعليها الفيَّالون، وفيها فيلٌ عظيمٌ يختصّهُ الملكُ لنفسهِ، ويركبُه في بعضِ الأوقاتِ،

فقالَ له الفيَّالُ لما قرُب منه : تنحَّ عنْ طريقِ فيلِ الملكِ، فسكتَ.فقالَ : ياهذا احذرْ على نَفْسِكَ، وَتَنَحَّ عن طريقِ فيلِ الملكِ.فقالَ لهُ الخارجيُّ : قُلْ لفيلِ الملكِ يتنحَّى عن طريقي.فَغَضِبَ الفَيَّالُ، وأغرى الفيل بكلامٍ كلّمَهُ به، فَغَضِبَ الفيلُ وعمدَ إلى الخارجيّ، فَلَفَّ خرطومَه عليهِ، فَقَبَضَ الخارجيّ بيدهِ على الخرطومِ، وشالهُ الفيلُ إشالةً عظيمةً، والنّاسُ يَرَوْنَهُ وأنا فيهم، وخبطَ بهِ الأرضَ، فإذا بهِ قدْ انتصبَ قائماً على قَدَمَيْهِ فوقَ الأرضِ، ولم يُنحِّ يَدَهُ عنِ الخرطومِ، فَزَارَ وَغَضِبَ الفيل، فأشالهُ أَعْظَمَ منْ تلكَ، وعدا ثُمَّ رمى بهِ الأرضَ، فإذا هوقدْ حَصَلَ عليهِ مُسْتَوِياً على قدميهِ مُنْتَصِباً قابضاً على الخرطوم، وسقطَ الفِيْلُ كالجبلِ العظيمِ ميّتاً لأنْ قَبْضَهُ على الخرطومِ تلك المدّة منعهُ من التّنفسِّ، فَقَتَلَهُ).

إنَّ بَطَلَ الحَكِايَةِ بطلٌ خلقته الجغرافية، لذا أعطته هذه القوة في صرعه للفيلِ على مراحلَ بدت كلُّ واحدةٍ منها قاتلةً للبطل، وخُلِقَتِ المفارقةُ بوساطة كسر أفق انتظار الناس الذين توقعوا هلاك البطل، فجاءت النتيجة مخالفة لما توقّعوا، فضلاً عن عامل العناد وهو عامل نفسي، فالمفارقةُ في الحكاية نتاج اشتراك المتلقي غير المركزي (الناس) والصوت السردي الرئيس في الحكاية (البطل)، اشتراك يصعب فيه الفصلُ بينهما، فلو كان البطل وحده من دون ناس يرون ما يفعل لما بقي على عناده، فالدافع الأساس للعناد هو إثبات الذات أمام الجمع، ليؤكّد أنَّ القوةَ في الطبيعة الصعبة هي أساس الوجود، والحكاية برمّتها قريبة للمخيال لا للواقع، وإن حاول الراوي إضفاء الواقعية عليها من خلال تقنية الإسناد وفعله الرئيس (حدّثني) المنسوب لقاضٍ ؛ بغية إرساء المقبولية عليها.

وتشكل اللغة بنية مهمة من بنيات مفارقة السياق الظرفي ولا سيّما في النوادر ؛ لأنَّها تنتج بوساطة الإجابة السريعة أو البدهية الذاتية للصوت السردي ومنه [49]:(قيل لإعرابي : هذا قصرٌ بما ارتفع ؟ فقال: بالجص والآجر)، إنَّ المفارقة نتجت حين أجاب الأعرابي إجابةً أدهشتِ السائلَ (ضحيّة المفارقة)، الذي كان يتوقع أنْ يكونَ الجوابُ نحوياً، وهذا الخبرُ يُعَدُّ ومضةً سردية جماليةً تحمل سخرية مخفية من النحو، فالأعرابي يتكلّم الفصحى على سجيته، ويستهجن التقعيد النحوي والقصرمكانفيزياوي يشير إلى الترف وهو مختلف عن بيت

الأعرابي – بطبيعة الحال – لذا تجاور أمران بنيتهما الاختلاف القولي والمكاني وقد كانت الإجابةُ ترجمةً للمبدأ القائل : إنّ اللغةَ إضماريةٌ بطبعها[50].

وهناك علاقة وثيقة بين العنصر الظرفي والحكاية العجائبية والامتناعية التي عمادها خلط الأزمنة ورسم أمكنة غير واقعية وكانت الرحلة أساساً في تكوين هذه الحكايات من خلال الحركة والتغيير في الأمكنة والأزمنة على حدٍّ سواء، وكانت الرحلة العجائبية والامتناعية على أنساق ثلاثة :

الأوَّلِ :الرحلة من الأسفل إلى الأعلى مثّلتها حكايات المعراج وألف ليلة وليلة والأولى خارج اهتمام هذا البحث لانتمائها للحكي العقدي المتَّجِهِ نحو الموضوعية لا الفنية النصية فضلاً عن وظيفته الكبرى في ترسيخ المعرفتين التشريعية والروحية المطلقتين [51].

الثاني : الرحلة من الأعلى إلى الأسفل مثّلتها حكايات رسالة الغفران.

الثالث : الرحلة الذهنية ومثّلتها حكايات المنامات، وتحضر المفارقة حضوراً مكثفاً في هذه الأنساق؛ لأنّها تتوافق مع وظيفتها الرئيسة المتضمِّنة خلق الدهشة النصّية.

وهناك أمكنة عجائبية أخرى نحو (القمقم) بوصفه جزءاً من فضاء الإيمان بالقضاء والقدر[52]، ويحوي القمقم تناقضاً في وظيفته فهو مكان سلبي ؛ لأنّ المارد مسلوب الحرّية محبوس فيه، وهو إيجابي وسلبي في آن واحد، لأنّه قد يعطي مالكه ما يتمناه أو قد يكون وبالأعلى مالكه، فالقمقم مكانٌ مُخْتَلَفٌ على وفق ثنائية (السلب و الإيجاب)، وقد أوحت حكايات ألف ليلة وليلة أن النبي سليمان حبس الجنَّ في قماقموأحكم غلقها وختمها بختمه ورماها في البحر[53]، ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ المفارقة الكبرى في ألف ليلة ولية كانت ظرفية تمثّلت في قلب وظيفة الليل، إذ صار الليلُ – وهو بنية زمانية – مكاناً تروى فيه الحكايات على الرغم من أنَّ بعض المنطقيين قد ذهبوا إلى فكرة مضمونها [54]:(الزمان في الحقيقة معدوم الذات)، وبعبارة أخرى (الزمان نفسه ليس شيئاً إنّهُ فقط يدوم كتوالي– كذا– للأحداث الواقعة فيه، ليس هناك زمان مطلق)[55]، قد يكون هذا الكلام صحيحاً من باب المحسوسات المطلقة لكنّه غير صحيح من باب الأثر والعارض، لذا فالزمان ليس معدوماً لتوافر عوارضه، ومن هنا يجوز تغيير وظيفته، وللدقة تغيير عوارضه، فضلاً عن أنّه يمتاز بالتنوع والتعدّد والتحوّل والسرعة والبطء[56].ومن السرعة الزمنية الحكاية الآتية [57]:(زعم الرُّواةُ أنَّ عروةَ بن عتبةَ بن جعفرَ بن كلابٍ، قال لابني الجونِ الكنديينِ يومَ جَبَلَةَ : إنَّ لي عليكما حقّاً لرحلتي ووفادتي، فدعوني أُنْذِرْ قومي من موضعي هذا، فقالوا : شأنَكَ، فصرخَ بقومهِ، فأسْمَعَهم على مسيرةِ ليلةٍ)، الخبر ضمَّ مفارقة متمثلة في الاختزالين: الزماني والمكاني، ومنتمية إلى المحال ؛ لذا كان المبرّدُ دقيقاً حين اختار لفظة (زعم)، كي يُبرِّئَ نفسه من نقل غير دقيق، مُلْقياً التَّحَقُّقَ في حيّز المجهولية الإسنادية، والنكتةُ في الخبر أنّ المفارقة كانت حدثية صوتيةفي الوقت نفسه.

إنّ العنصر الظرفي ذو وظيفة استيعابية وهو يؤثر ويتأثر في الوقت نفسه بالمبنى الحكائي، ويسهم مساهمة فاعلة في خلقِ المفارقةِ النَّصّيةِ الحكائيةِالمبنَّنةِ على التباينِ أو التباعد أو التَّضادِّ في عنصري المكان والزمان، وأنَّ الحكي نصٌّ مرجعيٌّ له تغيّرٌ في الوجهة الزمنية [58] ؛ لذا كانت القراءة النقدية للحكايات معتمدة على المبدأ النقدي القائل [59]: (على الناقد أن يرى النصَّ في ظروف تلفّظه)، ولا تحضر

المفارقة في عنصرها الظرفي في كلّ النصوص الحكائية، لا سيما تلك التي لا تغييرَ فيها لوظيفة المكان، أو تلك التي يتساوى فيها زمن الحكاية مع زمن الحكي[60].واستفاد الغرض التوجيهي من المكان في تمثله النفسي المحاكي للوعي، فالوعي يجري في الخلق انطلاقاً من الخارج على هيئة مُدْرَكاتٍ حسّية، كالرؤيةِ، والذوقِ، والشمِّ، ومن خلالها يكتمل الوعي بالعالم [61]، ومن ذلك الحكاية التي تنقلُ سعيَ أحدِ الوزراءِ لهدايةِ الملكِ، ومحاولته اختيار الوقت المناسب لطلب الهداية فقيل[62] :(ثمَّ ذلك إنّ ذلك الوزيرَ مكث دهراً طويلاً يطلبُ الفرصةَ لخطابه إلى أن اتفق أن قالَ لهُ الملكُ ذات ليلةٍ، بعدما فرغا من النَّظَرِ في أمرِ الرّعيةِ و كُتُبِ النوبَةِ، وتدبيرِ السّياسةِ : هل لكَ أنْ نخرجَ الليلةَ مُتَنَكّرينِ لنعرفَ حالَ المدينة....... فخرجا يطوفانِ حولَ المدينةِ مُتَنَكّرينِ، فبينماهما كذلك إذا هما بضوءٍ من بعيدٍ، فامتدّا نحوه حتّى دنَوا منه، فإذا هما بمزبلةٍ....... وإذا في أقصى داخلها رجلٌ قاعدٌ مشوّهُ الخلقةِعلى دكّة قد أصلحها من بين سمادٍ ورمادِ تلك المزبلة[63]،........ وإذا بحذائهِ امراةٌ تُشبهه في الخلقة والتشوّهِ....) ثمّ يصف الرواي ملابسهما الرثة وأكلهما البسيط إلى أن يصلَ إلى وصف حالتهما النفسية المطمئنة التي اتّضحت من خلال غنائهما وتّغَزّلِ أحدهما بالآخر حيثُ يقولُ الرّاوي[64] :(وهي تثني عليه بالحُسْنِ والجمالِ، كأنَّه يوسفُ الصّديقُ وتسمّيه شاهنشاه– ملك الملوك –وهو يسمّيها سيدة النساء....... ثمّ قال عند ذلكالملكُ للوزيرِ: ما أظنُّ أنّي في طول حياتي وعزِّ سلطاني ونعيمِ ملكي وأيّام شبابي ومجالسِ لهوي، مع تمكّني من شهواتي، بلغ مني الفرحِ واللذّةِ والسّرورِ ما يَصِفُ هذان المسكينانِ الحقيرانِ الوضرانِ من حالهما).

بعد هذه المحاورة بين الملك والوزير استثمر الأخيرُ الفرصةَ وبدأ بوعظ الملك بغية هدايته.في الحكاية بناء ثنائي متضادٌّ مكوناته الثنائيتان الآتيتان : القصر بكل ما فيه من زخرف اللهو تقابله المزبلة بكلِّ ما فيها من دناءة العيش، والفرح غير الملائم للمكان(المزبلة) والهمُّغير الملائم للمكان (القصر)، وكان للرؤية أثرٌ في تبنينِ وعيٍ جديدٍ للملكِ، وخلق مفارقةظرفية متمحورةفي تضاد الذات المكسوة بالقناعة، ولقد خلخلَ المكانُ هُويّة الملكِ ونزعته الذاتية، فجعله يقارن بين المكانين وفاعليتهما النفسية، إنّ الحكايةَ نقلتالملك منعلاقاته الثانوية أو السطحية إلى علاقات صميمية أكثر عمقاً ، وهذا الانتقالُ شجَّع الوزيرَ ليدخل الحكايةوالمفارقةعلى حدٍّ سواء في الغرض التوجيهي وقد أثبتت الحكاية أنّه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تؤدّي دوراً في الفراغ دون المكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب، بل بوصفه عنصراً حكائياً ذا وظيفة سردية فاعلة في النصِّ[65].لقداشتغل العنصر الظرفي الخالق للمفارقة في كلِّ أنواع الحكي العباسي الذي كان صياغةً ثقافيةً ضمن ما اطلق عليه أمبرتو أيكو ب(الموسوعة) والموسوعة هي جهاز ثقافي يطلُّ منه كلُّ قارىء على عالمه الداخلي وعلى عالمه الخارجي وعلى عوالم أخرى مختلفة [66].

2– الفعل :

الفعلُ : خَلْقٌ وإيْجَادٌ وإنْشَاءٌ وإحْداثٌ[67]، والفعل وشبيهه والفعل ونقيضه يكونان الموقف، وقد اخترت الفعل انسجاماً مع ما اجترحه التوحيدي في مقابساتهالتي فرّق فيها بين الفعل والعمل إذ قال [68]:(الفعلُ يقالُ على ما ينقضي، والعملُ يُقالُ على الآثارِ التي تثبت بعد انقضاء الحركةِ، والفعلُ أيضاً يُعمُّ كلَّ معنى صادرٍعن ذاتٍ، وحَدُّ الفعلِ أنَّهُ كيفيةٌ صادرةٌ عن ذاتٍ، والكيفيةُ واردةٌ على ذاتٍ)،

لذا كان التوحيدي أدقُّ من ت. تودروف الذي اجترح –بحسب المترجم – مصطلحَ منطق الأعمال[69] ومفارقة الفعل هي مفارقة الموقف وميزة المفارقة عموماً، تباينٌ بينَ الحقيقةِ والمظهرِ[70]، ولن أتّفِقَ مع وجهةِ النَّظرِ القائلةِ : إنّ لفظةَ (الحقيقة) مرتبطةٌ حصراً برؤيةِ صاحبِ المفارقةِ[71]، فهذا الرأي يُحَدِّدُ القراءات النقدية، ويُلْغِيْ في الوقتِ نفسِه أَثَرَ المتَلَقّي الناقد الذي يبني رؤاه النقدية على المبدأ النقدي الآتي : إنَّ التنظيرَ النقدي الحديثَ لا يهتمُّ كثيراً بالتفسير، بل بتحليل الأفعال السردية وتسميتها[72].

والمفارقة الحكائية تظهر بحكم توترين هما : توتر الفعل المنْتَجِ من علاقة الصوت السردي ومجتمعه النصِّي من جهة، وتوتر الكتابة بين المؤلف ومجتمعه الذي يحيا فيه من جهة أخرى، والفعل ينتمي للداخل والكتابة تنمي للخارج [73]،والفعلُ يبدأ من الجملة السردية التي تحوي معنًى والمعاني خمسة هي [74]:

1- المعنى الإدراكي أو المفهومي المباشر.
2- المعنى الثانوي أو العرضي الذي يتغير بتغيرالزمن أو الثقافة.
3- المعنى الأسلوبي وهو اجتماعي يحدّده الموقف.
4- المعنى النفسي وهو فردي – على الأغلب –
5- المعنى الإيحائي.

والمعنى الأخير هو الأقرب للمفارقة ؛ لأنّه يحوي المعاكسة بوصفه جزءاً من مضموماته الدلالية، ولكن هذا لا يعني غياب المفارقة عن المعاني الأخر، وسأحاول في هذا المبحث تبيان علاقة المفارقة بالأفعال أو المعاني وأرى أنّهما اسمانلمفهوم واحد، والمشْكِلُ في تحديد الأفعال تداخلها لكنّ البحث سيحاول أن يُرَكِّزَ قراءته على الفصل االدقيق بين الأفعال، فعلى سبيل المثال تجدُ صوتاً حكائياً بارزاً يُقَتِّرُ على نفسه فعليك أن تعرف علّة التقتير أَمِنْ زُهْدٍأمْ مِنْ بخلٍ ؛ لأنَّ البخلَ يختلفُ عن الزهدِ اختلافاً كبيراً بوصف الثاني حالةً تأمّليةً وجدانية مُنْتجَة للمعرفة والأوّل سلوك طبعي، وكذلك الحمق غير الجنون فالأوّل يملك صحّة المقصود مع غلط الوسيلة، أمّا الثاني فلاصحّةَ في قصده ولا في وسيلته [75]، هذان المثالان يوجّهان البحث نحو دقّة اختيار الفعل من دون الخلط بين الأفعال أو المعاني، فضلاً عن ذلك لا بُدّ أنْ أُبَيِّنَ أنّ هناكَ فرقاً بين أسلوب المفارقة ووسيلتها وموضوعها ، وبغية الإحاطة المعرفية سأعود لحكاية :(أبان، ، وأشعب، والأعرابي)، فأسلوب المفارقة كان مبنياً على السخرية، ووسيلتها الشراء، وموضوعها الاستخفاف بالآخر.إنّ دراسة الفعل وبيان علاقته بالمفارقة لا يعني التطبيق الحرفي للمنهج البنيوي الذي يجعل الشخصية (الصوت) وحدة سردية ثانوية [76]، بل ستُدرس الشخصيات أو الفاعلون أو الأصوات السردية على وفق أهميتها في خلق المفارقة.

الفعلُ حركةٌ سرديةٌ وبحسب بروب [77]:(قد تشمل حكايةٌ واحدةٌ حركاتٍ مختلفةً)، وهو جزءٌ من البنيوية التكوينية – على الأغلب – التي تعني [78] :(سلسلة من الأجوبةِ أو الردود ذات الدلالة على مواقف تواجهها الذات وتحاول ان تقيم نوعاً من التوازن يسنها وبين العالم الخارجي ومن الحكايات التي تنوعت حركاتُها، وكانت منتمية إلى البنيوية التكوينية الحكايةُ الآتيةُ[79] : (كانَ ابنُ عَبَّادٍ شديدَ السّفهِ، عجيبَ المناقضةِ[80]، سريعَ التحوّلِ، منْ هيئةٍ إلى هيئةٍ، مُسْتَقْبِلاً للأحْرارِ بكلِّ فِرْيَةٍ وفاحشةٍ ؛ كانَ يقولُ للإنسانِ الذي قد قَدِمَ عليهِ من

أهلِ العلمِ : تَقَدَّمْ يا أخي وتَكلَّمْ، واستأْنِسْ، واقترحْ، وانبسطْ، ولا تُرَعْ، واحسبني في جوفٍ مُرَقَّعَةٍ، ولا يهولكَ هذا الحَشَمُ والخَدَمُ، وهذهِ الغاشيةُ والحاشيةُ، وهذهِ المرتبةُ والمِسْطَبَةُ، وهذا الطَّاقُ والرُّواقُ، وهذهِ المجالسُ والطَّنافسُ ؛ فإنَّ سلطانَ العلمِ فوقَ سلطانِ الولايةِ وشرفُ العلمِ أعلى مِنْ شرفِ المالِ، فَلْيفرخْ روعُكَ، وليَنْعَمْ بالُكَ، وقُلْ ما شئتَ، وانصُرْ ما أردتَ، فلستَ تجِدُ عندنا إلأ الإنصافَ، والإسعافَ، والإتحافَ،والإطرافَ، والمقاربةَ،والمواهبةَ، والمؤانسةَ والمقابسةَ، وعلى هذا التَّنزيلِ، ومَنْ كان يحفظُ ما يهذي به وغيرِه؟!. حتّى إذا استقى ما عندَ ذلكَ الإنسانِ بهذه الزخارفِ والحيَلِ...... تنغّرَ عليه[81]، واستحصدَ غَضَبَاً، وتَلظَّى لَهَبَاً، وقال بعد وثبتينِ أو ثلاث : يا غلامُ، خُذْ بيدِ هذا الكلبِ إلى الحبسِ، وَضَعْهُ فيهِ بعدَ أنْ تَصُبَّ على كاهلِه وظهرِه خَمْسَمِئَةَ عصا، فإنّه معاندٌ ضدٌّ، يحتاجُ إلى أنْ يُشَدَّ بالقِدِّ [82]، ساقطٌ هابطٌ، كلبٌ نبّاحٌ، مُتَعَجْرِفٌ وقّاحٌ ؛ أَعْجَبَهُ صَبْرِي، وَغَرَّهُ حلمي، ولقد أخلفَ ظنِّي، وَعُدْتُ على نَفْسِي مِنْ أَجْلِهِ بالتَّوبيخِ، وما خَلَقَ اللهُ العصا باطلاً، ولا تَرَكَ خَلْقَهُ هاملاً.)كان فِعْلُ (التباين) الفعلَ الأَكْبَرَ في الحكايةِ، فترى منافرةً حادّةً بينَ حقيقةِ الصَّاحب بن عبّاد المتَّسِمَةِ بالمراوغة والمظهر المتمثل بكلام الصوت السردي المهيمن المقْنِع، فَحَضَرَتْ سماتُ المفارقةِ الثلاثُ : التباينُ والخفاءُ والقصديةُ، وبجوار هذا الفعل حضر فعلٌ آخر هو فعل (الاستخفاف) الذي برز في موضعين هما :

1- استخفاف المؤلف التاريخي (التوحيدي) بشخصية الصاحب بن عبّاد من خلال تشويه صورته أو فضحه.

2- استخفاف ابن عبّاد بالمخاطَبين.

وكلا الموضعين حمل سخريةً ضمنيةً، والسخريةُ إحدى أساليب المفارقة المهمّة وقد كان ابنُعبّاد صاحبَ المفارقة مرّة وضحيتَها مرَّةً أخرى، بينما كان المخاطبونمستهدفين من قبل المفارقةوأعطتهم الحكايةُ سمتين هما :المجهولية المطلقة إذ لم تُحَدِّدِ الحكاية ملامحهم،والاستغفال لقناعاتهم المباشرة بخطاب الصاحب وفعلا الاستخفاف فعلان منبثقان من مبدأ الرغبة وهو مبدأ نفسي، لكن رغبة التوحيدي مختلفة عن رغبة ابن عباد كاختلاف سلطة الكتابة وسلطة الحكم، لكنّهما مُتَّفقانِ في الغاية، ولعلّ ما نُقِلَ عن أقوال ابن عبّاد في الحكاية لم تكنْ حالاً، بل لسانَ حال، ومن هنا يمارس الكاتب سلطته على النصِّ كما يمارس الحاكم سلطته على المحكوم،والبدهي في أمر التعالي الكتابي أو السلطويأن صاحب المفارقة وضحيتَها بينهما عقدٌ فرضته ملزومية المخالفة المبنية على ثنائية (القوة والضعف).والفعل الثالث في الحكاية هو فعل (الكذب) الذي مارسه الصوت السردي الممثّل للسلطة (ابن عبّاد)، الكذب المقنن بالنسبة، الكذب الذي يعبر عن ذات انفصامية مريضة، ذات مُسْتَبِدَّةٌ تعتمد التسويغ أساساً فيسلوكها، جاعلة سلوكها الاستبدادي محاكاة للذات العليا فتقول :(وما خَلَقَ اللهُ العصا باطلاً، ولا تَرَكَ خَلْقَهُ هاملاً.)،وكأن ما قاله في البدء عن المساواة بين الحاكم والفرد هباءٌ وسفسطةٌ لا حضور لها في واقع حياة الصوت السردي.والملحوظُ أنَّ التوحيدي لم يُعْطِ دوراً للضحيّة (المخاطَب) بعد أن يأتي الفعل الرابع في الحكاية وهو (الغضب)، إلا إذا كانت رؤية هيدغر صحيحةً أقصد تحليله للصمت بقوله [83]:(إنّ الصمتَ نحوُ من الكلامِ)، وحينها يكون الصمتُ الفعلَ السادسَ في الحكايةِ، هذه الأفعال الستة أعطت جمالية للحكاية وعضّدت حضور المفارقة في سماتها واشتغالها النصّي ونتائجها المتمثلة بالمفاجأة والاندهاش والاستغراب من السلوك غير السوي للصوت السردي، وأنّ اللغة كانت دلاليةً ومساهمةً في تبنين الأفعال الستة في الحكاية من خلال موسيقاها المتأتية من السجع القطعوي(المجالس / الطنافس مثلاً)والترادف اللفظي (الإسعاف /الإتحاف مثلاً) والبناء المتوازي

للتراكيب التي كانت إنشائيةً مهيمنة في الحكاية ذات منزعٍ طلبي موزّع على قسمين الأوّل طلبي محض موجّهٌ للمخاطَب بغية إقناعه وتوريطه(تقدّمْ /انبسط/ لاترع....) والثاني طلبي مُرَّصعٌ بتوجيهات مُصدّرة ب(أن المصدرية الناصبة) وموجّهةٌ للجلاد بعد الغضب (خذ / ضعه/ أن تصب...)، وتخيّل المشهدين مشهد الإقناع ومشهد الغضب يعطيكَ صورةً عن أثر النغمة أو النبرة الصوتية في أسلوبية الحكاية ، كما تلحظ أنّ المقطعع الأوّل قد حضرت فيه لفظة (أخي) وهي جزء من الخطاب الناعم، وحضرت ألفاظٌ تشتغل في حيّز السلبية الاجتماعية في المقطع الثانيك(كلب / ساقط /متعجرف.....)، لتكون هاتان اللغتان المختلفتان مضموناً ونغمةً مساعدتين للمفارقة النصّية لا سيّما في فعل التباين في الحكاية.والإقناعُ في المثال ليس إقناعاً تامّاً، بَلْ هُوَ تسويغ نفسي يضمنُ سَدّاً لمِرَكّبِ النقص في الشخصية السلطوية ومن حكايات الأحلام المتعلقة بفعل التغيير ذي المنشأ النفسي والمتعالقة مع ثيمة الإقناعِ الحكاية الآتية[84]:(قَاْلَ يَحْيى بن اليَمَاْنِ: رَأَيْتُ رَجُلاً بَاْتَ أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللحْيَةِ شَاَبّاً مِلْءَ العَيْنِ، فَنَاْمَ لَيْلَةً، فَرَأَى في مَنَاْمِهِ النَّاْسَ قَدْ حُشِرُوا، وَإِذَاْ بِنَهْرٍ مِنْ لَهَبِ النَّاْرِ، وَإِذَاْ بِجِسْرٍ يَجُوْزُ النَّاْسُ عَلَيْهِ يُدْعَوْنَ بأَسْمَاْئِهِمْ، فَإِذَاْ نُوْدِيَ الرَّجُلُ أَجَاْبَ، فَنَجَاْ أَوْ هَلَكَ، قَاْلَ: فَدُعِيَّ بِاسْمي، فَدَخَلْتُ في الجِسْرِ، فَإِذَاْ كَحَدِّ السَّيْفِ يَمُوْرُ بي يَمِيْنَاً، وَشِمَاْلاً، قَاْلَ: فَأَصْبَحْتُ أَبْيَضَ الرَّأْسِ واللحْيَةِ).

بُنيت هذه الحكاية على وفق ثنائيات على النحو الآتي:

أ- (يحيى بن اليمان + الرجل الحالم) = ثنائية صوتية.

ب- (اليقظة + النوم) = ثنائية زمنية.

ت- (المنادون+المنتظرون) = ثنائية صوتية.

ث- (النجاة + الهلاك) = ثنائية نتيجة.

ج- (اليمين + الشمال) = ثنائية مكانية.

ح- (الأسود + الأبيض) = ثنائية تغيير.

وهذه الثنائيات ولدت حبكة سردية شدت المتلقي لمتابعة الحكاية لا سيما في موضع التوتر النفسي الذي مثّله انتظار الحاكم، ثُمّ القطع السردي من دون أن يعرفَ الحالم، والمفارقة تحققت في الغرابةالمنتمية للسرد الحكائي العجائبي المتمحورة في فعل التغيير من اللون الأسود إلى اللون الأبيض، والحكاية تدلُّ على أنَّ التغيير يؤثر على النفس ومثيل هذا الأثر ما رواه الجاحظ[85]: (سَقَطَ أَحْدَبُ في بِئْرٍ فَاسْتَوَتْ حَدَبَتُهُ وَصَاْرَ آدَرَ[86]، فَلَمَاْ جاءَهُ النّاسُ يُهَنِّئونَهُ، قَاْلَ: الذي جَاْءَ أَشَرُّ مِنَ الذي ذَهَبَ).لقد كُسِرَ أفقُ انتظار المتلّقي المركزي، وخاب تَوَقُّعُهُ – أقصد المهنئين – فقد أثّر التغيير الجسدي في نفسية الصوت (صاحب المفارقة وضحيّة التغيير في الآن نفسه)، ثم انتقل هذا الأثر النفسي إلى قول خالق للمفارقة، فضلاً عن بثّ الإسرار وهو منتمٍ للغرض الإمتاعي للمفارقة، والإسرار الذي خصّ المهنئين أسهم في حضور المفارقة للتباين بين ضرر المرْسِلِ وضحك المرْسَلِ إليهم ويؤكد هذا الخبر اجتماعية الحكي على الرغم من الهيمنة الفردانية التي مثلها الأحدب هذه الاجتماعية التي تخلق نصّاً حكائياً متكاملاً في حالة مجاورة الجمالية لها [87]، لكن هذه الاجتماعية قد لا تظهر

ظهوراً كاملاً في الحكايات الامتناعية والاستحالية وهنا يمكن ان يكون المبدأ السردي الآتي قريباً لواقع السرد الحكائي في العصر العبّاسي [88] ومن فعل التغيير تغييرُ الأداةالمترشح عن الفاعل الكاذب والكاذبُ مريضٌ نفسي يعمل بوساطة كذبه على تشويه العالم والواقع مخترقاً — في أغلب الأحيان — قوانين الطبيعة ممّا يؤدّي إلى انحراف اجتماعي، والكذب وسيلة دفاعية عن قصور نفسي ما، أو وسيلة وأداة لتخفيف الألم النفسي، وشاعت ظاهرة الكذب في العصر العباسي فظهر من ادّعى النبوة، أو من عُرف بانتمائه إلى نمط الكذابين، وقد اعطى التوحيدي تعريفاً دقيقاً للكذب إذ قال [89]: (الكذبُ شِعارٌ خَلَقٌ وموردٌ رَنَقٌ، وأدبٌ سيءٌ، وعادةٌ فاحشةٌ، وقلَّ منِ استرسلَ فيه إلا ألفه،وقلَّ من أَلِفَه إلا أتلفَه)، ومشكلة الكاذب اعتقاده بغباء الآخرين، واقتناعه بغفلتهم، فضلاً عن قدرته في كشف المخبوء من الخيال.ومن الأفعال الحكائية المرتبطة بالمفارقة فعلُ الطَّمعِ الذي ظهر عند الطفيلين وبعضِ الأعراب والحكاية الآتية تفسر هذا الارتباط [90] :(قالَ إبراهيمُ بن المنذر الحِزاميُّ : قَدِمَ أعرابيٌّ منْ أَهْلِ الباديةِ على رجلٍ مِنْ أَهْلِ الحضر، فَأَنْزَلَهُ وكانَ عندهُ دجاجٌ كثيرٌ، ولهُ امرأةٌ وابنان وبنتان. قالَ : فقلتُ لامرأتِي : اشوي دجاجةً وقدِّميها لنا نتغدَّى بها، وجلسنا جميعاً، ودفعنا إليهِ الدجاجةَ، فقلنا: اقسمها بيننا، نريدُ بذلكَ أنْ نَضْحَكَ منه، قال : لا أحسنُ القسمةَ، فإنْ رضيتمْ بقسمتي قَسَّمْتُ بينكم، قلنا : نرضى.فَأَخَذَ رأسَ الدجاجةِ فناولنيهُ، وقالَ: الرَّأسُ للرَّئيس، ثُمَّ قَطَعَ الجناحينِ، وقالَ : الجناحانِ للابنيينِ، ثُمَّ قَطَعَ الساقينِ، وقال : الساقانِ للابنتيينِ،ثمَّ قطع الزَّمكى،وقال: العجز للعجوزِ، ثم قال : الزور للزائرِ، فلمّا كانَ الغدُ قلتُ لامرَأتي: اشوي لي خَمْسَ دجاجات، فلما حضر الغداءُ، قلنا : اقسم بيننا، قال: شفعاً أم وِتْراً ؟ قلنا : وتراً، قال أنت وامراتُك ودجاجةٌ ثلاثة، ثمَّ رمى بدجاجة، وابناك ودجاجة ثلاثة رمى إليهما دجاجة، وابنتاك ودجاجة ثلاثة، وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ننظرُ إلى الدّجاجتينِ، فقال : لعلّكم كَرِهتم قسمتي الوِتْرِ، قلنا : اقسمها شَفْعَاً، فَقَبَضَهُنَّ إليه،ثُمَّ قالَ: أنت وابناكَ ودجاجةٌ أربعة، ورمى إلينا بدجاجةُ،ثُمَّ قالَ العجوزُ وابنتاها ودجاجةٌ أربعة، ورمى إليهنَّ دجاجةً، وأنا وثلاثُ دجاجاتٍ أربعة، وضمَّ ثلاثَ دجاجاتٍ، ثُمَّ رفع رأسَه إلى السَّماءِ، وقالَ : الحمدُ للهِ أنتَ فهمتينيها.)تنتمي هذه الحكاية إلى السَّردية الطبيعيةالتي تولي اهتمامً كبيراً للحدث وتضفي عليه بنياتٍ تركيبيةًتجعله يبدو كأنّه حَدَثَ فعلاً ؛ لذا لجأ المؤلف إلى الإسناد بوصفه إحدى وسائل مصداقية الحدثِ والتوثيق [91]، و الحكاية ذات غرض إمتاعي على الرغم من الخلخلة الدلالية التي أنشأها الحذففي مستهل الحكاية، إذ كان الأولى أن يقول قال الحضري كي تستقيم الدلالة.

للحكاية غايةٌ واحدةٌ هي (الضحك)، والضحك ناتجٌ عن توتّرٍ بين إرادتين إرادة الحضري القصدية، وإرادة الأعرابي غير القصدية أي : إنّ المشهد كان بين حَضَرِيٍّ يَضْحَكُ ويُمْسِكُ بترتيب الأحداثِ، وأعرابيٍّ يُضْحِكُ من دون أنْ يُسهمَ في ترتيب الأحداث، هذا التباينُ والاختلاف ولّدا مفارقةً كان الخفاء فيها مجتزءاً لا كليّاً تمركز في ذات المِضْحِكِ، ومحفز الضحك هو عيبٌ اتّسم به الأعرابي — أقصد الطمعَ– وفي هذا الصدد يقول برجسون [92] :(إنّ عيوب النَّاسِ هي التي تُضحكنا فعلاً على أنْ نُضيفَ إلى ذلك إنّ ما يُضحكنا في هذه العيوب هو كونها غير اجتماعية،لا كونها غير أخلاقية)، وهذه إشارةمهمة لأنّ الطبيعةَ البشريةَ تستهجنُ غيرَ الأخلاقي وتمجّه، لذا فالضحك الناتج عن عيب ماليس مرتبطا بحيزي الإيجابية أو السلبية أو الخبث والطيبة، بل مرتبطٌ بمخالفته الاجتماعية [93].بدا الأعرابي ذا قدرةٍ عقليةٍ فائقةٍ من خلال بنية (الحساب)، فقد طوّعها لمصلحته ثلاث مرّات ظانّاً أنّ هذا التقسيم غير العادل سيكون مقنعاً للحضري

وعائلته، مادام يستند إلى منطق طَلَبِهم، ومنطق الحساب، ليظهر فعل آخر بجوار فعل (الطمع) وهو فعل (الاستخفاف) بالآخرين، والملحوظ أنّ حيلة الحساب اتسمت بالتناميفكانت حصته تزداد في كلّ تقسيم جديد فمن الزور إلى دجاجتين فثلاثة، هذا التنامي وازاه تنامٍ آخرمن قبل الحضري وعائلته بنيته الرئيسة الضحك الناتج عن الدهشة والاستغراب والمفاجأة، لتحقق بوساطة ما تقدّم مفارقة مبنية على أسلوب السخرية المنتجة للضحك، وعضّد الدهشة فعلٌ آخر لضحية المفارقة (الأعرابي) هو فعل (التجاهل) مضفياً على تقسيماته غير العادلةِ توفيقاً إلهياً كي يخدعَ المتلقي المركزي إذ رفع رأسه حامداً الله عزَّ وجلَّ :(ثُمَّ رفع رأسَه إلى السَّماءِ، وقالَ : الحمدُ للهِ أنتَ فهمتينيها).الحكاية في مجملها ضمت ثلاثة مرتكزات سردية هي :

1- الأفعال المتمثلة بفعل الطمع والاستخفاف والتجاهل والوسيلة التي تحققت بوساطتها هذه الأفعال هي (حيلة الحساب).
2- الصوتان السرديان:الحضري والأعرابي.
3- الأشياء :الدجاج الذي كان مادّة الضيافة.

ويمكن تصنيف الحكاية على دوائر متتالية ومشتركة في الوقت نفسه فهناك دائرة المانح ممثلة بالحضري ودائرة المساعد ممثلة بزوجة الحضري ودائرة المشاركين ممثّلة بابني الحضري وابنتيه ودائرة الغبي المحتال ممثلة بالأعرابي– هو غبي استناداً إلى رأي الحضري– هذه الدوائر الأربع أعطت من خلال حضورها وتداخلها جمالية للحكاية، وكان التداخل قريباً من مبدأ (الإضافة المتكافئة) وهي تعني [94]:(تكرار المحتوى مع تغيير المعنى).وفي الحكاية أيضاً خطاب تمييزي شاع في المنتج السردي الحكائي العربي القديم هو خطاب التعالي المدني على البداوة وهو خطاب يعطي قيمة للمكان وأثره في السلوك الفردي.وثمَّة فعلٌ حضر في السَّردِ الحكائي الخالق للمفارقة، فعلٌ غيرُ نصّي، فعلٌ متعلق بالمفاجأةِ، وهو (المصادفة)، وهو فعل زمني غير محسوس، لكنَّ علاقته بالمفارقة وثيقة بوساطة ثيمة التعجب الحاضرة معه دائماً، ومنه الحكايات الآتيةِ[95]:(حدّثني التنوخي، عن أبي الحسنِ أحمدَ بن يوسفَ أسحاقَ بن البُهلولِ، قال : حدّثني يعقوبُ بن شيبةَ :، قالَ :أظلَّ عيدٌ مِنَ الأعيادِ رجلاً – يومىء إلى أنّه من أهلِ عصرهِ – وعنده مئةُ دينارٍ، لا يملكُ سواها، فكتب إليهِ رجلٌ مِنْ إخوانه، يقول له: قد أظللنا هذا العيدُ، ولا شيءَ عندنا ننفقُهُ على الصّبيانِ، ويستدعي منه ما ينفقه.،فَجَعَلَ المئةَ دينارٍ في صُرَّةٍ، وخَتَمَها، وأنفذها إليهِ.فلم تلبثُ الصرةُ عند الرجلِ إلّا يسيراً حتّى وردتْ عليهِ رقعةُ أخٍ من إخوانه، وذكرَ إضاقتَهُ في العيدِ، ويستدعي لهُ مثلَ ما استدعاهُ،فوجّهَ إليهِ بالصرّةِ إليهِ بختمِها، وبقي الأوّلُ لا شيءَ عنده، فكتبَ إلى صديقٍ لهُ، وهو الثالثُ الذي صارتْ إليهِ الدَّنانيرُ،يذكرُ حالَهُ، ويستدعي منه ما ينفقه في العيدِ، فَأَنْفَذَ إليهِ الصرّةَ بخاتمِها. فلمّا عادتْ إليهِ الصُّرّةُ التي أنفذها بحالها، رَكِبَ إليهِ وقال لهُ : ما شأنُ هذه الصُّرَّةِ التي أنفذتها إليَّ؟ !.فقالَ لهُ: إنّهُ أظلّناالعيدُ، ولا شيءَ عندنا ننفقهُ على الصُّبيانِ،فكتبت إلى فلانَ أخينا، أستدعي منه، ما ننفقهُ، فأنْفَذَ إليَّ هذهِ الصُّرَّةِ، فلمّا وردتْ رقعتُكَ عليَّ، أنفذتُها إليكَ، فقالَ لهُ قم بنا إليهِ، فَركبا جميعاً إلى الثاني، ومعهما الصُّرَّةُ، فتفاوضوا الحديثَ، ثُمَّ فتحوها، فاقتسموها أثلاثاً، قالَ أبو الحسن: قال لي أبي:، والثلاثة : يعقوب بن شيبةَ،وأبوحسّانالزيادي القاضي، وأنسيت... أنا الثالثُ.)

هذه الحكاية تقترب من جهة دلالتها من الفكرة النقدية التي تفضل مصطلح معنى على مصطلح فعل ونصّها[96]: (إنّ البنى التحتية في السرد هي في الحقيقة نماذج معانٍ، لا نماذج أفعال)، لكنّ البحثَ لايرى فرقاً بين المصطلحين فلا فعل حكائيا بلا معنى، لكن تداولية الفعل تكون قريبة من إبلاغية المعنى كما هي الحال في هذه الحكاية.بِنْيَةُ الحكايةِ مُغْلَقَةٌ أَحْكَمَها تشابهُ السُلوكِ المبنيُّ على نُكْرانِ الذَّاتِ، والحكاية لم تتجاوز الواقع أو الحقيقة لكنها سوّرتْ بالمصادفة، وكانت الغلبةُ للفعل للواحدإذ اختفت المتتاليات السردية المختلفة وحضرت بديلاً عنها المتتاليات السردية المتشابهة، والمفارقة المحَقَّقَةُ في الحكاية تمثلت في دهشة الصوت السردي الأوّلِ من خلال عودة المال إليه بخاتمه نفسِه، إنَّ مجتمعَ الحكايةِ مجتمعٌ إنسانيٌ، حاول المؤلفُ ترسيخَه في ذهنية المتلقي من خلال الغرض الاعتباري للحكاية، والمجتمعُ المتّسِمُ بالقيِّمِ الإنسانيةِ يختلفُ عن تلك المجتمعاتِ التي يُشاعُ فيها الانحرافُ الأخلاقي، وقد ظلَّ الحضور الإنساني مستمراً إلى نهاية الحكاية حين اتفق الثلاثة على توزيعالمال على ثلاثتهم، وهذه ومضة إنسانية حاول المؤلف إيصالها إلى المتلقي ،ولا بُدَّأنْ أُشيرَ إلىوسيلةَ المفارقةِ الرسالةُ التي حَفَّزَهَا أمران هما: العوزُ والفاقةُ، والمفارقة هنا جاءت بمعنى التعدّي أو التجاوز المقرون بالدهشة، فلا فائدةَ من التجاوزِ غير المقترن بالدهشة والاستغراب والتعجب، والمصادفة ذات أثر إيجابي، وقد تكونُ المصادفة ذات أثر سلبي كما هي الحال في ما نُقل عن اجتماع الاسحاقات في زمن المتقي بالله إذ قيل[97]:(اجتمعت في أيّام المتقي بالله اسحاقات كثيرة، فانسحقت خلافةُ بني العبّاس في أيّامه[98]، وانهدمت قُبّةُ المنصورِ الخضراءُ التي كانت بها فخرهم..... كان المتّقي يُكنّى أبا إسحاق،وكان وزيره القراريطي يكنّى أبا إسحاق، وكان قاضيَه ابنُ إسحاق الخرقي، وكان محتسبَه أبو إسحاق بن بطحاء، وكان صاحبَ شرطته أبو إسحاق بن أحمد، وكانت دارَه القديمة دارُ إسحاق بن إبراهيم المصعبي [99])،يتّضح من هذه الحكاية أثر المصادفة في بثِّ السّوء، بوساطة التشابه اللفظي، وأنَّ مجمل المتن الحكائي افتراضات متقنة بحكم المتوافر على وفق شيوع التسمية،والمفارقة تحققت حين استثمرَ الرّاوي أحداثَ الخرابِ وبرّرها من خلال تغيير دلالة اسم (إسحاق) مستفيداً من الحروف الثلاثة الواردة في الاسم (س+ح+ق) ؛ كي يواءمَ بين دلالة الفعل اللفظي ودلالة الأحداث المتزامنة مع زمن حضور الإسحاقات، وهذا توازٍ تلفيقي لا يخلو من جمالية نصّية،وثيمةتسويغية ربطت بنيات لا رابط بينها، وكان التباين (سمة المفارقة) بارزاً من خلال فاقة الأصوات السردية الثلاثة، وتلبية طلب الآخر المحتاج.

لقد خالف التسويغ الدراسات اللسانية جميعها التي أكّدت القاعدةَ القائلة [100]:(إنَّ الدليل هو المجموع الناتج عن ارتباط دال – صورة سمعية – بمدلول)، فلا علاقة للدال في هذه الحكاية بالمدلول ؛لذلك فالدليل باطلٌ عندما يُوعَزُ إلى الحقيقة، وجماليٌ عندما يُوعَزُ إلى السردية، وأعتقد أنَّ الفكرة الرئيسة في الحكاية مستندة إلى (التطيّر)، فالعربُ – على سبيل المثال لا الحصر – تطيروا من شجر البان للتباين[101]، على الرغم من انعدام الدليل، والتطيّر حالة اجتماعية ونفسية في الآن نفسه، فرضتها ظروف العرب البيئية، وحاجة الإنسان الطبيعية – ومنه الإنسان العربي– إلى تفسير الظواهر الغريبة والمفاجئة. ومن التشابه اللفظي [102]:(تنبَّأَ آخرُ في أيّام المأمون، فقال : أنا أحمدُ النبيُّ، فَحُمِلَ إليهِفقال له: أمظلومٌ أنت فَتُنْتَصَفُقال : ظلِمتُ في ضيعتي.فَتَقَدَّمَ بإنْصافهِ ثُمَّ قال له : ما تقولُ في دعواكقال: أنا أحمدُ النبيَّ، فهل تَذُمُّهُ أنت ؟)

إنَّ المفارقةَ توافرت حين تخلَّص الرجل من الحرج لغوياً من خلال تغييرنحوي إذْ نقل لفظة (نبي) من موقع الخبرية إلى موقع المفعولية، مستفيداً من التشابه اللفظي بين الفعل والاسم.ومن فعل المصادفة الخالق للمفارقة والمرتبطة بالشؤم الحكاية الآتية [103]:(قالَ الأصمعيُّ : قيل لطويسٍ: ما بلغَ مِنْ شؤمِكَ ؟!. قالَ : وُلِدْتُ يومَ تُوفيِّ رسولُ الله "صلّى اللهُ عليهِ وسلّمْ"، وفُطِمْتُ يومَ تُوفِيَ أبو بكرٍ، وخُتِنتُ يومَ قُتِلَ عمرُ، وراهقتُ يومَ قُتِل عثمانُ، وتزوجتُ يومَ قُتِلَ علي، ووُلِدَ لي يومَ قُتِلَ الحسين).

المتتاليات السردية الخمس تشي على الرغم من سلبيتها بسخرية مخفية مبنية على ثنائية واحدة من ركنين متبادلين (خير وشرّ).وأخذ فعل (السؤال) حيّزاً مهمّاً في السرد الحكائي في العصر العباسي الذي تمركز في نوعين أوّلُهما :الدعاء، وثانيهما : الكدية ومقترباتها، فمن الدعاء [104] قول أحدهم:(اللهمّ إنيّ أسألك ميتةً كميتة عرفجةَ، فقيل له كيف مات ؟ قال: اكلَ بزخاً، وشَرِبَ مشعلاً والتفَّ في كسائه[105]، ومات فَلَقِيَ اللهَ شبعانَ ريّانَ دفآنَ)، مخرجاتُ السُّؤالِ حسّيَّةٌ (الأكلُ والشربُ واللبسُ)، متباينةٌ مع الشائع من خطاب الدُّعاءِ ذي المخرجات المعنوية(الرحمة والمغفرة والأمان...) ، فضلاً عن طَلَبِ السَّائِلِ الذي سمته دنيوية لا أخروية، هذان الأمرانِ خلقا مفارقة متوشّحة بالسخرية، والملحوظُ في هذا المثال السَّردي أنَّ المفارقةَ قد تحققت في الحكايةِ كتحققِّها في الخطابِ فالقاعدة النقدية تقول[106]: في الحكاية أو القصّة يهتمُّ النَّقدُ بالشخصية وهي تفعلُ، أمّا في الخطاب فيهتمُّ النَّقْدُ بالشَّخصيةِ وهي تتكلّمُ، فصاحب المفارقة في الحكاية (عرفجة)، وصاحبُ المفارقةِ في خطابِ السَّائلِ، وتُلْحَظُ مفارقة الخطاب فيما يأتي [107] :(قصّ قاصٌّ فقالَ : إذا مات العبدُ ، وهو سكرانُ دُفِنَوهو سكرانُ، وحُشِرَ وهو سكرانُ، فقالَ : رجلٌ في طرف الحَلَقَةِ، هذا واللهِ نبيذٌ جيّدٌ يساوي الكوزَ منه عشرين درهماً)، الحكايةُ من الومضة السردية المبنية على الانزياح الديني، وخرق الممنوع، والمفارقة في فعل التجاوز القولي من قبل الرجل الجالس في طرف الحلقة، لا في قول القاص، أو في فعله، ولم يوضّح ابن الجوزي هيئة القائل الذي قد يكون مُسْتَخِفّاً بالقاص لا بمضمون قوله.ومن السؤال لغير الله تعالى الآتي [108]:

(قالَ خالدُ بنُ عبداللهِ لأعرابيٍّ : سلْ ما بدا لكَ، فقالَ :مئة ألف درهم، قال : أسرفتَ، قالَ: ألفَ درهم، قالَ خالدُ: ما أدري أمنْ إسْرافِكَ أَتَعَجَّبُ أم منْ حَطِّكَ ؟!فقالَ :إنِّي سَأَلْتُكَ على قَدَرِكَ، فلمّا أَبَيْتَ سألتُ على قَدَرِي، فقالَ: إذاً واللهِ لا تَغْلِبَنِي على معروفي.)

كان الأعرابيُّ صاحبَ المفارقةِ المبنيةِ على أمرينِ هما :

1- التَّباينِ الكبيرِ في القيمةِ بينَ الطَّلبينِ.

2- حسن الإجابة الداخلة ضمن مبدأ حسسن التخلّص.

لقد أسهم الأمران في خلق المفارقة، وحضرت خيبة الصوت السردي في كليهما، ممّا أثار دهشته وتعجّبه،، لكن الأمر الثاني كان ذا وظيفة إقناعية فضلاً عن أثره في خلق المفارقة.ومن الحكايات التي تداخل فيها فعلُ العجز مع السخرية الحكاية الآتية[109]:(ضَمَّ عثمانَ بنَ رواحٍ السَّفرُ ورفيقاً لهُفقالَ لهُ الرَّفيقُ :امضِ إلى السُّوقِ فاشترِ لنا لحماً، قالَ : واللهِ ما أقدِرُ،قالَ: فمضى الرَّفيقُ واشترى اللحمَ، ثُمَّ قالَ لعثمانَ : قُمِ الآنَ فاطبُخِ القِدْرَ، قالَ : واللهِ ما أَقْدِرُ.فَطَبَخَها الرَّفيقُ، ثُمَّ قالَ : قُمِ الآنَ فاثرُدْ، قال : واللهِ إنيّ لَأَعْجَزُ عن ذلكَ، فَثَرَدَ الرَّفيقُ، ثُمَّ قالَ: قُمِ الآنَ فَكُلْ، فقالَ : واللهِ لَقَدْ استحييتُ من كثرةِ خِلافي عليك، ولولا ذلك ما فعلتُ.)

في الحكاية متتالياتٌ سرديةٌ خمس، الأولى استهلالية، والاستهلال عنصر سردي مهم[110] مثّله فعل السفر الذي حَمَلَ بنيتينِمختلفتينِ : بنية الاتصال بين الصوتين السرديينِ، وبنية الغياب الوقتي بحسب الوظيفة التداولية للسفر، تلا هذا الفعل فعل (العجز) الذي حضر في المتتاليات الأخرى، من خلالِ المخالفة والرفض لأفعال الأمر : (امض/اشترِ/ قم /اطبخ/ اثرد)، والإيجاب لفعل الأمر(كُلْ)، وكان جوابُه الأخيرُ متّسماً بالتباين و بالحيلةِ الداخلة في باب (حسن التخلّص)،،وكان أثرُ التباين والحيلة الضحكَ المتأتي من قطع الاستمرارية الخاصّة بالعمليات العقلية[111]، وفي الحكاية استخفاف غير ظاهر بشخصية العاجز صادرٌ من أبي حيّان التوحيدي موجّه إلى المتلقي بغية إرساء الغرض الإمتاعي.ويبدو أن شخصية رفيق عثمان كانت انبساطية غير معقدة وَضُحَتْ هذه الصِّفةُ من خلال قبوله مخالفة عثمان في متتاليات سردية ثلاث، ولم تُثِرْ هذه المتتاليات انفعاله، بينما كانت شخصية عثمان شخصية غير مبالية، وقد تتولّدُ المفارقة من الانفعال والغيظ، مُحِيْلَةً الغضبَ إلى مصداتٍ دفاعية نفسية، أو ردود أفعال شديدة، ومن ذلك أصل حكايةُ المثل العربي المشهور (جاء بِخُفَّي حُنَيْن) [112]وهو:(إنَّ إسكافاً منْ أَهْلِ الحيرةِ،ساومهُ أعرابيٌّ بِخُفَّيْنِ، فاختلفا حَتّى أَغْضَبَهُ، فازدادَ غيظُ الأعرابي، فلمّا ارتحلَ، أخذَ حُنينُ أحَّدَ خُفَّيْهِ فألقاهُ على طريقهِ، ثُمَّ ألقى الآخرَ في موضعٍ آخرَ، فلمّا مرَّ الأعرابي بأحَّدِهما، قالَ ما أشْبَهَ هذا بِخُفِّ حُنينٍ !، ولو كانَ معهُ الآخرُ لأَخَذْتَهُ، ومضى، فلمّا انتهى إلى الآخرِ نَدِمَ على تَرْكِهِ الأوَّلَ،، وأناخَ راحلَتَهُ، فَأَخَذَهُ، ورجعَ إلى الأوَّلِ، وقدْ كَمُنَ لهُ حُنينُ، فَعَمِدَ إلى راحلتِهِ، وما عليها، فذهب به —كذا —وأَقْبلَ الأعرابي ليس معه غيرُ الخُفَّيْنِ، فقال له: —كذا– ما الذي أتيتَ بهِ؟ قال : بِخُفَّيْ حُنينٍ).يبدو من القراءة الأولى لهذه الحكايةِ المضْمَرَةِ أنّ اهتمامَ المبنى الحكائيِّ مُنْصَبٌّ نحو الصوت السردي المهيمن فيها (حُنين)، لكنّ أصْلَها يشي بعكس تلك القراءة، فالحكاية لها محمولان من الأفعال مستندان إلى مبدأينِ مختلفين هما مبدأ المنفعة ومبدأ اللذّة، غَضَبُ الأعرابيّ – بوصفه فعلاً سردياً– نابعٌ من المنفعة واختلالها، وسطوُ حُنين المستند إلى الحيلة نابعً من مبدأ اللذّةِ في محاولةٍ منه للتشفّي من الأعرابيّ، هذا التنازعُ بينَ المبدأينِ كان مساعداً في المفارقة التي حضرت بسماتها الثلاث وهي :

أ- حَضَرَ التباين بين :

- ذكاء حنين وغباء الأعرابيِّ................... (تباين ذهني)
- قيمة الخفّين والراحلة...............................(تباين مادّي)

ب- وحضرتِ القَصْدِيَةُ مِنْ قِبَلِ صاحبِ المفارقةِ على وفق مبدأ اللذّة الذي أشرت إليها.

ت- وحضر الخفاءُ من خلال :

- فعل السطو المعروف باحتياجه للخفاء تداولياً.
- جهل الناس بالذي أتى به الأعرابيّ.

إنّ لكل حكاية فعلاً، أو مجموعة أفعال متداخلة، ونلحظُ في هذه الحكايةِ فعل الغضب الذي لم يؤثر في مُتَغَيّراتِ الغاضب الحدثية، لكنّه كان مؤثِّراً تأثيراً كبيراً في الضدِّ، وبجوار هذا الفعل ظهرت أفعال أخرى نحو فعل السطو المقترن بالحيلة وفعل الطمع في صوتي الحكاية المضْمَرَة.إنَّ الأفعال واسعةٌ سعةَ الحياة ؛ لذلك لا يمكن للبحث ان يستعرض جميع أفعال السرد، والفكرة الرئيسة التي وصل إليها

هذا المبحث أنّ هناك علاقةً وثيقة بين المفارقة والفعل، وهذه العلاقة عُدّت نوعاً أساسياً من أنواع المفارقة المسمّى (مفارقة الموقف) [113]، والمقصودبالموقف الفعل، لكنني لا أراه نوعاً، بل مستوًى ؛ لأنّ الحكاية السرديةتتكون من مستويات سردية ثلاثة هي الظرف بوصفه وعاءً للحدث، والفعل بما يحويه من حدث وفاعل، واللغة أداةُتوصيل الحكايةوسأبيِّنُ فيالفصول القادمة أنواع المفارقة.وللغة الوصفية أثرٌ واضحٌ في الحكاية العباسية، ففي حكاية أبي القاسم البغدادي – مثلاً – نلحظ أنَّ الوصف التزييني تمحور في حيّزٍ كبير منها، فضلاً عن الاستناد إلى الإجابة عن الاستفهام المحفِّزِ الفاعل للحكي والمعادل أو الشبيه لأسئلة شهريار[114].

3- اللغة:

إنّ اللغةَ ذاتَ مَحْمَلَيْنِ : مَحْمَلٍ خارجيٍّ موروثٍ، و مَحْمَلٍ داخليٍّ مُنْتَسِبٍ لِمُنْجَزِه، وهذان المحملانِ هما الحَكَمَانِ في تحديد العَلاقةِ بين المفارقةِ واللغةِ، وهي ذات بنيتينِ : بِنْيَةٍ سطحيةٍ لا تحتاجُ إلى تأويلٍ، وبِنْيَةٍ عميقةٍ تحتاجُ إلى تَأمّلٍ وتأويل، والمفارقة في كينونتها وتعريفاتها أقربُ إلى البنيةِ العميقةِ ؛ لما تحويهِ من عنصر الخفاء الملائمِ للمفارقة.وتُكْشَفُ المفارقةُ المتعلّقةُ باللغةِ بوساطة أسلوبيتينِ هما : الأُسلوبيةُ التعبيرية، والأُسلوبيةُ التأصلية، الأولى تجيبُ عن(كيف)، والثانية تجيبُ عن(من أين) أو (لماذا) [115]، فاللغة تعبّر، والأسلوبيعمل على إبراز القيمة [116]، والمفارقة تحضر في لغة السرد الحكائي في لغته اللسانية، أو في لغته غير اللسانية، والثانيةُ قد تُسمّى (هاديات غير لغوية)[117]، أي الإشارة والأيقونة وماشابههما بشرط تحقق بنية المخالفة، ويستثنى من ذلك الرمز؛ لاتكائهِ على المماثلةِ والتشابه، وقد ركّزت الدراسات اللغوية على اتجاهات ثلاثة هي : اتجاهٌ دراساتُه أولت اهتماماً باللفظة ومعناها المعجمي واتجاهٌ دراساتُه أولت اهتماماً بالتراكيب ومعانيها و الاتجاهُ الأخير وجّه جُلَّ اهتمامِهنحو النصِّ برمّتِهِ، وسيستفيدُ البحثُ من الاتجاهات الثلاثة، لكنَّ المؤكّدَ أنَّ الاتجاهين الأخيرين أكثرُ إفادةً ؛ لأنّ المفارقةَ لا تتأتّى مِنَ اللفظةِ – على الأغلب – بل من التركيب أو النَّصِّ ؛ وهذا الرأي ينسجم مع :

1- رأي عبد القاهر الجرجاني[118] :(ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغلٌ، ولا هي منّا بسبيل، وإنَّما نعمدُ إلى الأحكامِ التي تحدثُ بالتأليف والتركيب).
2- المبدأ اللساني القائل[119] :(إنّ اللفظ ليس الكلام، وأهمُّ ما يميّزُ بينهما أنَّ الأوَّلَ لا يشترطُ المعنى، أمّا الثاني فيشترطه ويقتضيه اقتضاءً).

الرأيان يدلّان على أنَّ القيمة الأدبية للتأليف، والتركيب، والنصّ ، من دون إهمال لقيمة اللفظ واختياره الفني – بطبيعة الحال – ؛ لذا سنعتمدُ مصطلح المفارقة القولية المؤَسَسة على القول، لا مصطلح المفارقة اللفظية التي اجترحها(د.سي. ميويك)[120] المؤسّسة على اللفظةوللغةِ وظائفُ عدّة منها الآتي [121]:

1- الوظيفة الانفعالية (تظهر عند الباث).
2- الوظيفة المرجعية (تُعرف من المبنى المعجمي ومن التواتر الاجتماعي).
3- الوظيفة الشعورية (تُعرف من المبنى الحكائي أو النصّي).

4- الوظيفة الانتباهية(تُعرف من المتلقي المركزي).

5- الوظيفة الإفهامية(تُعرف من المتلقي غير المركزي).

ويكشف رصد هذه الوظائف، وتحليل حضورها في الحكاية السردية في العصر العبّاسي أنَّ لغة السَّرد الحكائيتحوي عوامل جمالية مبنية على العدول، والانزياح، والتصحيف،والبدهية والاستبدال ، والتشابه اللفظي (الترادف)، والحركة أو يسبق الذهنُ إلى غير المعنى المطلوب.... وغيرها.وتعمل هذه التقنيات على خلق المفارقة بوصفها جزءاً من التعبير والمعنى، والمعنى لا يتموضع في العالم الخارجي، ولا في النفس، وإنَّما يتموضع في عالمالمفاهيم، فالأذهان تمسك بالمفاهيم، والألفاظ تُعَبِّرُ عنها، والأشياء تُحمل عليها بوساطتها [122]، أي: أنَّ اللغة في أغلب تمظهراتها مُنتمية لدلالاتٍ مُخْتَزَنَةٍفي الذاكرة الجماعية، وخلخلة هذه الدلالات حكائياً تخلقُ مفارقةً.إنّ المنهجَ الذي اعتمدتهُيُرَكِّز على الدلالةِ من دون عناصر اللغة الأخرى أقصد النحو والصرف والمفردات، فضلاً عن فعلها وفاعلها، والفاعل في الحكاية– بحسب عبد الملك مرتاض–كائنٌ لغويٌّ مصنوعٌ من الخيال المحض [123].أسلوبية المفارقة مبنية على تعدّد المعاني، فالمعاني الأوّلُ وحدَها غيرُ كافيةٍ لخلقِ مفارقةٍ تامَّةٍ، ووسائلُ المعاني هي نفسها وسائلُ النصّ، وتقنياته، والمفارقة تَختلفُ مع القاعدة اللسانية المشهورة :(لكلِّ مقامٍ مقالٌ)، بل تغيرُها لتحلَّ محلّها (إنَّ لكلِّ مقامٍ مقالاً يخالفُه أو لا يُجاريه أو لا يشابهه)، أي : تحضر المفارقة عند تجاوز مقتضى الحال ؛ وكانت العربُ تهتمُّ بالمخاطَبِ،وبأسلوب مخاطبته، يقول المهدي [124](عقوبةُ الحكماءِ التّعريضُ، وعقوبةُ السّفهاء التصريح)، وهذا القول يراعي الحالةَ الشّعورية للمخاطَب.لقد تغيّرت الرؤية إلى اللغة في السرد الحكائي العبّاسي بوصفها ظاهرة اجتماعية لِتُصبح ظاهرةً لجميع الخلقمن خلال حكايات الأمثولة المتمثّلة بحكايات (كليلة ودمنة)، و رسالة (الصاهل والشاحج)، و حكاية (الأسد والغواص)، هذه الحكايات ومثيلاتها صنعت مفارقة لغوية كبرى على مستوى المنجز السردي الأعم، بوساطة أنسنة الحيوان.

المفارقة في مستوى اللغة تجول في حيّز المعنى وتلقيه، بين الباث والمتلقي المركزي المشارك في المتن الحكائي أو المبنى الحكائي من جهة والمتلقي الخارجي من جهة أخرى، أو بين الإبداع المتفنن في صنع الحكاية السردية وذوق الشخصية [125]، والإبداعُاللغوي غير المصطنع مبنيٌّ على البدهية– على الأغلب – ومن ذلك الحكاية الآتية[126]:

(دَخَلَ رَجَلٌ عَلَى شَرِيْحِ القَاْضِيْ يخاصِمُ امْرَأَةً لَهُ، فَقَاْلَ لَهُ: السَّلاْمُ عَلَيْكُمْ، قَاْلَ: وَعَلَيْكُمْ، قَاْلَ: إِنِّيْ رَجَلٌ مِنَ الشَّاْمِ، قَاْلَ: بَعِيْدٌ سَحَيْقٌ، وَقَاْلَ: إِنِيَ قِدِمْتُ إلى بَلَدِكَمْ هذا، قَاْلَ: خَيْرَ مَقْدَمِ، قَاْلَ: وإِنِّي تَزَوْجْتُ امْرَأَةً، قَاْلَ: بالرِّفَاْءِ والبَنِيْنَ، قَاَلَ: وإِنَّهَاْ وَلَدَتْ غُلاْماْ، قَاْلَ: لِيَهْنَكَ الفَاْرِسُ، قَاْلَ: وَقَدْ كُنْتُ شَرَطْتُ لَهَاْ صِدَاْقَهَاْ، قَاْلَ: الشَرْطُ أَهْلَكُ، قَاْلَ: وَقَدْ أَرَدْتُ الخُرُوْجَ بِهَاْ إلى بَلَديْ، قَاْلَ: الرَّجَلُ أَحَقُّ بِأَهْلِهِ، قَاْلَ فَاَقْضِ بيننا، قال: قَدْ فَعَلْتُ.)كانَ الحوارُ في هذه الحكاية متَّسِماً بسرعة الإيقاع السردي، وبنيت المفارقةُ على وسيلة لغوية هي (الأمر) الذي مثلها فعل الأمر «اقضِ»، إذ انتظر الرَّجُلُ حُكْماً مِنَ القاضي، فَخَاْب انتظاره وتوقعه من خلال إجابة القاضي «قد فعلت»، وقد أسهم التباين في مقامي الجدِّ والهَزَلِ في إرساء المفارقة، الجدّ في قول الرجل والهزل في الجواب الختمي للقاضي الذي يستطيع أنْ يُعطي الطالب ما يُريد، وأدّت السرعةُ السرديةُ وظيفةَ جَرِّ الرجل إلى حيّز خيبة التوقع التي هي مفاجأة تكمن في إحضار غير المُنْتَظَرِ مِنَ المُنْتَظَرِ على وَفْقِ (مبدأ تكامل الأضداد)[127]. ويقول دي. سي. ميويك[128]: (الميزة الأساس في المفارقة تباين بين الحقيقة والمظهر» لذا كان

لموقف القاضي الهزلي أثر في ترسيخ المفارقة فالهزل لا يليق بالقاضي تداولياً.وللمفارقة في مستواها اللغوي علاقة ب (القول بالموجب) الذي يعني [129]:أنْ يُخَاطَبَ المتَكَلِّمُ مُخاطَباً، فيعمدُ المخاطَبُ إلى كلمةٍ مُفْرَدةٍ من كلام المتكلِّم، فيُبْنى عليها من لفظهِ ما يُوجِبُ عكس معنى المتكلّم، وعندما يعمد المخاطَبُ إلى ذلك فإنهُّ يُغيّرُ دلالة النصِّ تغييراً كاملاً مثيراً لدهشة المخاطِب والمتلقي في الوقتِ نفسِه ومن ذلك الحكاية الآتية[130]: (إنَّ المتَوَكِّلَ كَانَ مُشْرفاً مِنْ قَصْرِهِ الجعفري فَتَعَرّضَ لَهُ أبو العِبَّرِ، وَقَدْ جَعَلَ فِي رِجْلَيْهِ قُلُنْسوَتَيْنِ، وعلى رَأْسِهِ خُفّاً وَجَعَلَ سَرَاْوِيْلَه قِميْصَاً، وَقِمَيّصَهُ سَرَاْوِيْلَ.فَقَاْلَ المتَوَكّلُ: عَلَيَّ بهذا الأمَثَلَةِ، فلمّا مَثّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَاْلَ لَهُ: أَنْتَ شَاْرِبٌ. قَاْلَ: لا، بَلْ عَنْفَقَةٌ[131]، يا أميرَ المؤمنين. قال: إنيّ وَاْضِعٌ فِي رِجْلِكَ الأَدْهَمَ، وَنَاْفِيْكَ إلى فَاْرِسٍ. قَاْلَ: اجْعَلْ فِي رِجليْ الأَشْهَبَ وانْفِنِيْ إلى رَاْجِلٍ).

حضرت المخالفة الصورية قبل حضور القول بالموجب، وهي صورة مشهدية مثيرة للسخرية من الذات، فالشخصية تخترقُ المتداولَ وترتدي الأشياء ارتداءاً مخالفاً لمقتضى الحال، هذه الصورة المقلوبة دعت الخليفة إلى إحضار أبي العبر وبهذا اللبوس تحققت المفارقة من خلال سماتها الثلاثة المخالفة للشائع والمتداول والقصدية في السلوك والخفاء الذي ارتبط بغرابة الموقف أو إبهام الآخر المشاهد، ثُمّ جاءت إجابات أبي العبر لأسئلة الخليفة راسمةً خطاً متوازياً في العكسية مع الصورة المقلوبة، فنقلَ لفظةَ (شارب) التي يعني بها سكران إلى الجسد فقال: عنفقة(ذقن)، وهذا اتكاءٌ قولي مبني على الترادف، وكذلك تحويل المكان (فارس) إلى إنسان بوساطة التضاد بين لفظتي (فارس وراجل)، هذا التغاير في الصورة واللغة أسهمَ في ترصين المفارقة التي كان لصاحبها (أبي العبر)الأثر الأكبر في ذلكمن خلال قصديته إذ نقل وظائف الألفاظ في مقال الخليفة الجدّي إلى وظائف يريدها هو في مقامه الهزلي، والغريب في الأمر أنَّ أبا العبر هذا لم يكن صاحب مفارقة طبعي، بل كان ذا منحى مصطنع وقد رُوي عنه قوله[132]:(كنا نختلفُ – ونحن أحداثٌ – إلى رَجُلٍ يُعَلِّمُنَا الهزل فكان يقول: أول ما تريدون قلبَ الأشياء، فكنّا نقول إذا أصبح: كيف أمسيت؟ وإذا أمس كيف أصبحت وإذا قال لأحدنا: تعالَ إليّ تأخَّرَ إلى خَلْفٍ، وإذا قال: اذهب سعى بين يديه، وكانت له أرزاق يعملُ كتابتها في كل سنة فعملها مَرّة – وأنا معه – فَلّما فرغ من التوقيع فيها، وبقي الخَتْمُ، قال لي: أَتْرِبْها وهاتِها، فمضيت وصببتُ عليها ماءً، فَبَطُلَتْ، فلّما رآها قال لي: ويلكّ ما صنعتَ؟ قلتُ: ما نحن فيه طولَ النهار من عكس الأشياء، فقال: والله لاصحبتني، أنت أجهل منّي وأحمق).

ويمكن أن تُعَدَّ منهجية التعلّم المذكورة في قول أبي العبر وسيلة لخلق المفارقة بأنواعها المختلفة، مع ضرورة الإشارة إلى أنَّ القولَ بالموجب يرتبط بالمفارقة القولية حصراً، وهو متمم إلى خلاف المقتضى في اتساعٍ وشمول، وأعتقد أنّالمعاكسةالمصطنعةتُنتجُ من ذات مريضة نفسياً وغيرِ سويّةٍ، وتكونُ قريبةً من الغرض الإمتاعي– على الأغلب – ويبقى القصدهو الفيصل في تحديد المعاكسة الطبعية أو الاصطناعية.وقد تختفي القصدية وتحضر المفارقة المبنية على اللغة منها [133]: (كَتَبَ سليمانُ بن عبد الملك إلى ابن حزم : أنِ احصِ من قِبلكَ من المخنّثينَ، فصحّفَ كاتبُه فقرأه : اخصِ، قال : فدعا بهم فخصاهم).

المفارقة مشهدية مبنية على تصحيف حرف، والمفارقة لم تتحقق بفعل التصحيف فحسب، بل بفعل أثره، فالفرقُ بين الإحصاء والإخصاء كبيرٌ، وفي الحكاية خطاب استهانة بالمخنّثينَ وصورة عن ظهور فئات التخنّث وتحولها من الفردية إلى الجماعية، فضلاً عن صعوبة تحديد صاحب المفارقة فمن هو ؟ أسليمان أم كاتبه أم ابن حزم؟ لقد صار التحديدُ صَعْباً لغياب القصدية – بطبيعة الحال –، لكنَّ

المخنثين كانوا ضحيّة المفارقة لا لغفلة منهم، كما هي الحال في أغلب المفارقات، بل لعلّةٍ خارج ذواتهم. ومن مفارقة الاستغفال الطبعي غير المصطنع والمرتبط بالتصحيف اللغوي ما يأتي [134]:

(قال الدار قطني، وحدّثني محمد بن يحيى الصُّولي، قالَ : حَدَّثَنَا أبو العيناء، قالَ : حَضَرْتُ مجلسَ بعضِ المحدّثين المغَفَّلين، فأسندَ حديثاً عن النبي – صلّى الله عليه وسلّم–عن جبرائيلَ عن الله عن رجلٍ، فقلتُ من هذا الذي يصلحُ أنْ يكونَ شيخَ اللهِ ؟! فإذا هو صحّفَهُ، وإذا هو "عزَّ وجلَّ").تختلف هذه الحكاية عن سابقتها بالمجال، فالأولى مجالها السلطة المحضة، والثانية مجالها المقدَّس ؛ لذا فَأَثَرُ الثانيةِ أعمقُ مِنَ الأولى لديمومتها، والأولى محدودة الفضاء، والمشترك بينهما خطاب الاستهانة الأولى استهانة اجتماعية، والثانية استهانة اجتماعية دينية في الوقت نفسه.المفارقةُ لغوية بوساطة تغيير الفعلين :

(عزَّ)........... إلى حرف جر (عن)، و(جلّ).......... إلى اسم جنس (رجل).وإدخال الحكاية في مختبر الاحتمالات يؤدّي إلى احتمالات ثلاثة : الأول واقعية المنقول المسدَّد بالإسناد، والثاني المنقول مُلَفَّقٌ لا صحة لحَدَثِهِ، والثالث أنَّ المحدِّثَ أعجمي. والملحوظ أنَّ التصحيف في النصِّ المقّدَّس يثير سخريةً في المستهدف من المفارقة من باب الاستهانة به من دون أنْ يتجاوزَ الرَّاوي حدَّ الممنوع، ويبدو ذلك واضحاً في الحكاية الآتية [135]:(ممّا يَرْوِيهُ أعداءُ حمزةَ الزَّيّاتِ أنّهُ كانَ في أوَّلِ تَعَلُّمِهِ القرآنَ، يتعلّمُ مِنَ المصحفِ.فقرأَ"ذلك الكتابُ لا زيتَ فيهِ".فقالَ لهُ أبوهُ دَعِ المصحفَ، وتَلَقَّنْ مِنْ أفواهِ النَّاسِ).

التصحيف شكليٌّ ومرتبطٌ بلقب ضحية المفارقة ممّا يوحي بقصدية تأليفه، لا قصدية حدوثه، وفيه استهانة بالضحيّةِ. وبجوار (التصحيف) نجد (الحذف) خالقاً للمفارقة في مستوى اللغة، على نحو ما نراه في الحكاية السردية الآتية [136]:(رَمَى رَجُلٌ عُصْفُوراً، فَأَخْطَأَهُ، فقالَ لهُ رَجُلٌ : أَحْسَنْتَ، فغضبَ، وقالَ تَهْزَأُ بي؟ قال :لا، ولكن أحْسَنْتَ إلى العصفورِ)، في هذهِ الحكايةِ حُسْنُ التَّخلّصِ بناهُ المتخلّصُ على المفارقة في مستواها اللغوي الذي كانَ للحذفِ أَثَرٌ، والحذف غير حقيقي، بل تسويغي، فلا حذفَ في الحكاية ؛لأنَّ وظيفةَ الحذف المقبول ألا يوقعَ المتلقيفي الوهم [137]، وهذا الحذف أوقع الوهم المتلقي المركزي (ضحية المفارقة) في الوهم، لذا سألَ مُتَعَجِباً وغاضباً في الآن عينِه (تهزَأُ بي؟!)[138]، ومعلومٌ (أنَّ الغضب لا يكونُ مذموماً إلا إذا أُعْمِلَ في غيرِ أَوانِهِ، وعلى غيْرِ ما يأذنُ النَّاموسُ الحقُّ به)[139]وقد يشتراك الحذف اللغويالمقصود مع فعل الإخفاء المقصود في خلق مفارقة، كما هي الحال في الحكاية الآتية[140]:(أقبل أعرابيٌّ يُريدُ رجلاً، وَبَيْنَ يَدَي الرَّجُلِ طَبَقُ تِيْنٍ، فَلَمَّا أَبْصَرَ الأعرابيّ غَطَّى التَّيْنَ بكساءٍ كانَ عَلَيْهِ، والأعرابيّ يُلاحظُه، فَجَلَسَ بينَ يديه،فقالَ له الرّجلُ :هل تُحْسِنُ مِنَ القُرْآنِ شيئاً؟،قال : نعم،قال : فاقرأْ، فقرأ الأعرابيّ((وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ)) "سورة التين 1–2.قالَ الرَّجلُ :فأينَ االتينُ؟!فقال :التينُ تحتَ كسائكَ.)

حضر في النّصِّ فعل الحذف وفعل الإخفاء ،وكانت القصديةُ مهيمنةً على الفعلينِ ، فأسهم حضورهما متجاورينِ في خلق المفارقة ، ومن حسن التخلّص المنتمي إلى اللغة تحوير معنالنصّ المقدّس، أو قراءته مجتزءاً من دون إتمام معناه بهدف الاستهانة بشخص أو مجموعة نمطية، وهو مختلف عن التصحيف ؛ لأنَّ التصحيف في البنية اللغوية للنص، وهذا التحوير في معناه أو مآله الدلالي ومن ذلك الحكاية الآتية [141]:

(سُئِلَ بعضُ الوعّاظ لِمَ لمْ تنصرفْ "أشياء"؟ فلم يفهمْ ما قيل له ثُمَّ سَكَتَ ساعةً ،فقال : أنت تسألُ سؤالَ الملْحدينَ ؛ لأنّ اللهَ يقولُ :((لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ)) – سورة المائدة 101.)

كان الاستفهامُ مهيمناً على المبنى الحكائي، وهو استفهام مندرج ضمن (محض المعنى) [142]، الذي يخالف الاستفهام الاستنكاري، وقد وضع البلاغيون عللاً مختلفة لاستفهام (محض المعنى) وهي [143]:

1- تنبيه السامع ؛كي يخجل من موقفه فيرتدع بعد أن يعي الجواب.

2- فضح مدَّعي القدرةَ .

3- تنبيه من همَّ بفعل ما لا يُسْتصوبُ فعله.

4- تنبيه من جوّزَ وجود أمرٍلا يوجد مثله.

واستفهام هذه الحكاية هدفه فضح مجموعة الوعاظ من خلال جهل واعظ واحد، وهو قريب من مصطلح (الأبيجراما) الذي لم يجد د. طه حسين تعريباً لهبعدَ أن درسه دراسةً مُفَصَّلةً، معززاً دراسته بالأمثلة الشعرية والسردية والقولية ومن ثَمَّ أشار إلى سماته الرئيسة وهي [144]: القِصَرُ والنقدُ وتجاوز حدِّ المألوف، ومعلوم أنّ المألوفَ التداولي مرتبطٌ بالمقدّسِ وثوابت المجتمعوأسس السياسة وعبارة أخرى تعدّي الخطاب المتعالي الذي تمثّله القوى الثلاث : الدينية والاجتماعية والسلطوية.ومن (الأبيجراما) المحققة للمفارقة بوساطة اللغة المثال السردي الآتي[(145)]:(حَدَثَنَاْ المدَاْيِنِيُّ: كَاْنَ عَبْدُ اللهِ بِنْ أَبِيْ ثَوْرٍ وَاْلِيَّ المدِيْنَةِ فَخَطَبَهُمْ: أَيُّهَاْ النَّاْسُ اتَّقُوْا الله، وَاْرُجْو التَّوْبَةَ، فَإِنَّهُ أُهْلِكَ قَوْمُ صَاْلِحٍ فِيْ نَاْقَةٍ قِيْمَتُهَاْ 500 دِرْهَم).

إنَّ النداءَ اشتغل منبّهاً وهذه وظيفته الرئيسة، فضلاً عن وظيفة الصدارة في الكلام[(146)]، وتحمل عبارة (أيّها الناس) بُعْداً اجتماعياً مُفَسِّراً للعلاقة بين (الأنا) المتوجّهة الفارقة و(الآخر) الذي يُعدُّ متلقياً مركزياًيمثّل مجتمع ما، وقد بدأ القول بالسياق السَوَيّ غيرِ المثيرِ للدّهشةِ الداعي إلى الاتّزان الديني من خلال التقوى والتوبة ثم أردفهما بخير الناقة، والوحدات الثلاثة التقوى والتوبة والخبر سارت بخطٍّ مستقيم تداولي، إلا أنَّ تثمين النّاقة خلق انحرافاً في استقامة الخط السردي، هذا الانحراف أو العدول يخلقُ مفارقة واندهاشاً عند المتلقّي، واستغراباً واستفهاماً عن الكيفية التي عرفَ بها الخطيبُ ثَمَنَ النّاقةِ، كما أنَّ الوحدة السردية الرابعة أقصد «تقويم السعر» حَمِلتَ في طيّاتها خرقاً للمقُدّس.وهذه سمة المفارقة الأولى (المخالفة أو المعاكسة للشائع)، فضلاً عن القصدية المسبقة للراوي، وما تحملهُ دلالةُ النصِّ من سخريةٍ غَيْرِ واضحةٍ، والوحدةَ السرديةَ الرابعةَ جاءتْ نتيجةً طبيعيةً لاضطراب منهجية التفكير التي تعني سوء التنظيم الذهني[(147)]، للمُخاطِب وهذه الحكاية جزءٌ من التوجيه ذي الخاصيّة الجماعية، ومعلوم أنَّ الخاصيّة الجماعية للإبداع الأدبي تنشأ مِنْ بنياتٍ نَصّيةٍ متماثلةٍ مع البنيات الذهنية لبعض الفئات الاجتماعية، أو مترابطة معها ترابطاً واضحاً[(148)].

لقد جمعت الحكاية بين اليقين المتمثل في التنفيذ الخطابي،والبعدعن الختام العقلاني من خلال إيراد لفظة الدراهم، وهذا التباين بين اليقين والعقلانية أسهم في خلق المفارقة وتجاوز القاعدة الفلسفية التي تؤَكّد عمق الصّلة بين اليقين والعقلانية.[149]وقد يخلقُ سوءُ الفهمِ للغةِ مفارقةً يُقالُ (إنَّ أعرابياً حَضَرَ حلقة يونس فأنشدَ قول جرير[150] :يَصْرَعْنَ ذا اللبِّ حَتَّى لا حراكَ بِهِوَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقاً أَرْكَانَا فقال ما

أرادَ – واللهِ– إلا البراغيث).رأيُ الأعرابيّ نابعٌ من ثقافته لا من محايثةٍ للبيتِ ؛ وسوء فهمه يخلق مفارقة مبنية على هذا الأمر المتمثّل بإحالةِ الضمير إلى خلاف قصد الشاعر، وهو مأخوذ من الظاهر السطحي الملائم لسطحية عقل الأعرابيّ وبساطته وقد يأتي خطأ الإحالة اللغوية من التشابه اللفظي نحو المثالين الآتيين[151]:

أ– قيلَ لأَعْرابيٍّ : هذا قَصْرٌ بِمَ ارتفعَ؟ قال : بالجصِّ والآجرِ.

ب– قالَ خلفٌ : قلتُ لأعرابيٍّ : أُلْقِي عليكَ بيتاً، قالَ : على نَفْسِكَ فَأَلْقِهِ.

حضرتِ المفارقةُ في الخَبَرَيْنِ من خلال خيبة التوقّع التي أنشأها الأعرابيّ بوساطة إجابته المعاكسة لما توقعه الآخر،هذه الإجابة مُتكئة على الترادف اللغوي وعلى الاحتمال البعيد، لا الواقع، وتنتمي هذه الحكاية إلى (الكلام غير المطابق)، أي [152]:(الكلام الذي لا يشير بصدق إلى مرجعه)، وكان المحتمَل والواقع منتميان للتعبير اللغوي للحكاية، و(التعبير اللغوي هو العملية التي تكون فيها كلُّ العناصر وكلُّ المظاهر ذات دلالة)[153].

وللغة أثرٌ كبيرٌ في تغليب الآراء لاسيّما تلك المتعلّقة بالخلافات الفكرية التي برزت بروزاً واضحاً أبَّان العصر العبّاسي ومن ذلك [154]:سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا الهُذَيْلِ فَقَاْلَ لَهُ: أَفْعَاْلُ العِبَاْدِ مَخْلُوْقَةٌ؟ قَاْلَ: لا، قَاْلَ: فَمَنْ خَلَقَهَاْ، قَاْلَ أَبُوْ الهُذَيْلِ: أَنْتَ مَشْجُوجٌ؟ قَاْلَ: لا، قَاْلَ: فَمَنْ شَجَّكَ؟) هَيْمَنَ التوازي على العلاقة السردية في الخبر وكان للتوازي بنيتان هما بنية الاستفهام وبنية المشْتَق، ومن خلال التوازي المقصود الارتدادي، سْتُدْرجَ السائل واسْتَبْعَدَ المجيبُ ما كان حاضراً في ذهن السائل، هذه البنية التوازية أعطت دَهْشَةٌ نصيّة، لكنّها دهشةٌ مُسْكِتَةٌ، وبحضور الدهشة حَضرت المفارقة المتمثلة بالتباين بَيْنَ قناعة السائل قبل الإجابة والإجابة الإقناعية، وكان الحِجَاجُ من داخل النصّ.وقد تُخلق المفارقة بوساطة اللغة غير اللسانية من ذلك الحكاية المضمرة للمثل العربي القائل : (أعيا من باقل) ومن الإجابات غير اللسانية التي لم تكن بسبب عيٍّ أو علّةٍ في النطق إجابة الشّعبي حين قيل له [155]:(كيف بِتَّ البارحةَ ؟ فطوى كساءَهُ في الأرضِ، ثُمَّ نامَ وتوسّدّ يدَهُ،هكذا بِتُّ).

لقد قدّم الصوت السردي (صاحب المفارقة) الحركة على الإجابة اللسانية ممّا خلخل توقعات السائل الذي كان في منطقة الإيهام السردي أو كان ذا معالمغِيرِ واضحةٍ يلائم سمتي : الخفاء والتباين بين المتوقع والإجابة،ومن المفارقة الواقعة في حيز التوسّط بين اللغتين اللسانية وغير اللسانية حكاية المثل العربي :

(ذكرني فوكِ حِماريْ أهلي) على النحو الآتي [156]:(إنَّ رجلاً شاباً غَزِلاً خرجَ يطلب حمارينِ لأهلِهِ، فَطَرَقَ أُذنيهِ صوتُ امرأةٍ، فشغلهُ حُسْنُهُ – حسن الصوت– عن حاجته، فجلس بحذاء المكان الذي هو فيه، فَلَمَّا أَطَلَّتْ عليهِ، إذ لها أسنانٌ مُكْفَهِرَّةٌ مُنْكَرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ فقال:ذكّرَنيفوكِ حِمَارَيْ أهلي).توقّع الشاب أنَّ المرأةَ جميلةٌ رابطاً توقّعه بمبدأ تداعي الصورة الناتجة عن مخيّلته المنقادة انقياداً تامّا لجمال الصوت، فخابَ توقُّعه ليخلقَ مفارقةً بين ظَنِّهِ والحقيقةِ، وجسدُ المرأة بأسنانها المكْفَهِرَّةِ صار مُحَفِّزاً للذاكرةِ فتحقَّق استدعاء الهيئة الغائبة بوساطة الهيئة الحاضرة، والصوت لغةمرتبطة بالموسيقية الإيصالية.وفي هذا المثلِ يلمح القارىء عنصراً مهمّا من عناصر السخرية الموفقّة ألا وهو التعبير غير المباشر عن الفكر، ولم يأت صاحبُ المثلِ بوصف مُضْحكٍ لفم المرأة المسخور منها، ولم يبرز ما فيه من قبح وشذوذ إبرازاً تصويرياً، ولكنّه

أتى بفعل التذكر الذي أغنى عن كلِّ وصفٍ. وقد كان لبعض الأدوات النحوية حضورٌ فاعلٌ في الحكاية السردية في العصر العباسي التي توافرت فيها المفارقة منها :

1- (إذا) أداة الشرط غير الجازمة وظرف لما يُستقبلُ من الزمان ، فهي أداة زمنية وفاعلة من خلال شرطيتها، وحين نعود لأغلب الحكايات التي دُرسِتْ نلحظ أنّها حضرت حضوراً مؤثراً وكبيراً.

2- (إلّا) اداة الاستثناء التي تخرج ما بعدها من حكم ما قبلها،وهذه الأداة حضورها أقلُّ من الأولى لكنّها تعطي- على الأغلب – دهشة ذات جماليةٍ نصيّةٍ ومن ذلك[157] :(كَتَبَ أحمقُ إلى أبيه من البصرةِ : كتابي هذا، ولم يحدثْ علينا بعدكَ إلا خيراً، والحمد لله، إلا أنّ حائطنا وقعَ، فقتل أمّي و أختي وجاريتنا، ونجوتُ أنا والسنّورُ والحمارُ)المفارقة تحققت في تباين الكلام المتكون من قسمين: الأوّل قبل الأداة والثاني بعدها، ممّا أثار الاشتغراب والدهشة المنتجة من صوت سردي موصوف بالحمق، والحمق علة غير جسدية ،فهي ذهنية ونفسية في الآن نفسه.

3- (لام التعليل)، وظيفة هذه الأداة تسويغية لفعل ما، أو لفعل مُسْتَفْهَمٍ عنه من ذلك[158]:

(قيل لمجنون :لِمِصار الدينارُ خيراً من الدرهمِ، والدرهم خيراً من الفلسِ؟قال: لأنَّ الفلسَ ثلاثةُ أحرف والدرهم أربعةُ أحرف والدينار خمسةُأحرف)إنّ الأداة هي المرتكز في الإجابة المتجاورة مع تسويغ فيه سخرية وواقعية بنائية في الوقت نفسه.

ممّا تقدّم يتّضح لنا أنَّ المفارقة حضرت في عناصر البناء السّردي للحكاية العبَّاسية حضوراً جمالياً ، ولاسيّما في لغة الحكاية التي كانتْ ذا تأَثَرٍ كَبِيْرٍ في خَلْقِ المُفَارَقَةِ، وأنَّها حضرت في النوع والأسلوب والإجراء، وكانت(الأبيجراما) الشَّكلَ السَّرديَّ البارزَ في مفارقات اللغة، فضلاً عن البدهية وحسن الجواب والقول بالموجب والمعاكسة وسوء الفهم لمعنى النص الكامل، وتغيير دلالات الألفاظ والتراكيب والنصوص تبعاً لتغيير دلالة اللفظة المتاتية من التصحيف النصي أو الشكلي، وكان لأساليب اللغة في الاستفهام والنداء والطلب ، فضلاً عن بعض الأدوات النحوية مكانةٌ ذات فاعلية في خلق المفارقة.

الهوامش والمصادر:

[1]-الأنظمة السيميائية(دراسة في السرد العربي القديم) : دهيثمسرحان،دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1،2008م، :71.
[2]- المصدر نفسه : 72.
[3] - الضحك : هنري برجسون، سلسلة الأعمال الفكرية، ترجمة: سامي الدروبي، وعبد الله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م 69.
[4]- مقال (المسجد والقصص والمذكرون) : محمد توفيق بلبع، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد (12)، العدد (4)،1983م، :369.
[5] - البخلاء : الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحرت (255) ه، شرح : أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2009م، ج1 : 62 -63.
[6]- علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي) منقور عبد الجليل ، اتحاد الكتاب العرب ، 2006م: 226.
[7]- رسائل أخوان الصفاء وخلّان الوفاء، دار صادر،بيروت ، لبنان، ط3،2011م،: ج 4 : 162- 163.
[8]-الناووس : مقابر النصارى، ينظر لسان العرب مادّة (نوس).
[9]- رسائل أخوان الصفا : ج4 :64.

[10] - ينظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983 م : 39.
[11]- المقصود بالمقام المكانة، فالاختلاف والتباين في مكانة الأمكنة ومدلولاتها القيمية واضحان وكان الاتجاه تنازلياً.
[12]- البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النصّ): هنريش بليت، ترجمة : د.محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البضاء، المغرب، ط2، 1999م،:60 – 61.
[13]- الإشارات والتنبيهات :ابن سينا ، تحقيق: د. سليمان دينا، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1960ق1: 407.
[14]- فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية) :د. حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية،2001م :80.
[15]- هم الأخوان والأصدقاء الذين صفت مودّتهم من كدورات البشر وكانوا يسعون إلى الكمال الروحي، ينظر :موسوعة كشاف اصطلاحات :محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النصّ الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996 مج1: 124.
[16]- المكان الواقعي أسماه د. موفق رياض مقدادي (المكان المتعين)، ينظر البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة (392)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012 م، : 134.
[17]- أخبار الحمقى والمغفّلين: 110ابن الجوزي، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن القرشي البغدادي، ت (597 هـ)، شرح: عبد الأمير هنا، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1410 هـ - 1990 م -111.
[18]- المرقاة الدرجة الواحدة من مراقي الدَّرج، ينظر لسان العرب، مادّة (رقا).
[19]-أخبار الظراف والمتماجنين: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت (597 هـ)، تحقيق محمد بحر العلوم، مطبعة الغري، النجف الأشرف، العراق، ط2، 1967، :128. وينظر المسامرة والمنادمة عند العرب حتّى القرن الرابع الهجري، رسالة نيل درجة (أستاذ) مقدّمة إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، في الجامعة الأمريكية في بيروت، 1978، :218.
[20]-الضحك :74.
[21] -ينظر الأساطير العربية قبل الإسلام :د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر،1937م، :22.
[22]-نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : التنوخي، أبو علي المحسن بن عليت (384)، تحقيق :عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ج2 : 322 -323.
1- ينظر : فكرة الزمان عبر التاريخ، مستشار التحرير : كولن ولسن،إشراف: جون جرانت، ترجمة : فؤاد كامل،سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992 م،: 5. و الزمان والسرد (الحبكة والسرد الجكائي) : بول ريكور،، ترجمة سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة :د.جورج زيناني، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2006 م، ج1 :45.
1- مقال (منزلة اللغة وعلاقاتها بالديمومة الخلّاقة لدى برغسون) :خالد البحيري، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان 148 – 149،2009،:33.
[25]- عنما تكون الحكاية خطية تفقد مفارقتها الزمنية، ينظر : أدبية النصّ النثري عند التوحيدي (السردي والإنشائي) : حسن إبراهيم الحمد، رسالة دكتوراه، إشراف : د. عبد اللطيف عمران، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2003م، : 544.
[26]- مقال (الوجود و الزمان) : وولفهارتبانبرغ، ترجمة : محمد ثائر القدسي،مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان 25 – 26،2009م، :54.
[27] - مقال (مفهوم الزمن بين الأساطير والمأثورات الشعبية) :صفوت كمال، مجلة عالم الفكر،مج8، ع2، 1977م :216.
[28] - مجمع الامثال : الميداني، أبو الفضل النيسابوري ت (518 ه)، تحقيق : محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1374ه – 1955م ،ج1 : 325.
[29] - مجمع الأمثال :ج1 : 325.
[30]- ثمار القلوب (في المضاف والمنسوب) : الثعالبي، أبو منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (429ه)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب، (57)، دار المعارف، القاهرة ، مصر،1958، :562 – 563.
[31]- مجمع الامثال :،ج1: 145.
[32]- المفارقة وصفاتها : 27دي. سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي (13)، دار المأمون، بغداد، العراق، ط 2، 1987.
[33] - البصائر والذخائر: التوحيدي ،أبو حيان علي بن محمد بن العباس ت (414 هـ) تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان ط 1 1408 هـ - 1988ج2 : 15.
[34] -البصائر والذّخائر: ج7 : 405.

[35] - محاضرات الأدباء :الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، ت (502) للهجرة، تحقيق: د. عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1420 للهجرة- 1999م، : ج1: 6.

[36]- بعضهم أسماها (النسق الاستشرافي الصاعد) ينظر، البنية السردية في الرواية السعودية (دراسة فنية لنماذج من الرواية السعودية) :نورة بنت محمد بن ناصر المري، رسالة دكتوراه، جامعة ام القرى كليّة اللغة العربية، إشراف د.محمد صالح بن جمال بدوي، 1429ه – 2004م،:70.

[37]- نشوار المحاضرة :ج3: 195-196.

[38]- ينظر مقال (الحكاية الخرافية) :تيريزةبوسر، ترجمة :د.محمود فؤاد نعناع،ع:376، 2005، :108.

[39]-ينظر قال الراوي : 62.

[40]- ينظر الأنظمة السيميائية: 71.

[41]-ينظر تجليات المكان في السرد الحكائي العباسي : د.محمد إبراهيم الخوجة،دارفضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1، 2009، :57.

[42]- نثر الدرّ: ج7 :122.

[43]- البصائر والذخائر :ج7 : 195.

[44]- الامتاع والمؤانسة :التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس ت (414 هـ)، تحقيق غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1428 هـ - 2007 م 161 -162.

[45]-فسرها المحقق على أنها طعام يعمل من اللحم والخل والتوابل فارسية معرّبة، ينظر هامش ص: 161.

[46]- إناء زجاجي كبير

[47]- الجزرة :الشاة ذكراً كانت أم أنثى.

[48]- نثر الدر: ج1 :108 -109.

[49] - نثر الدرّ : ج5 :180.

[50] - ينظر : ما الأدب : جان بول سارتر، ترجمة : د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،، تاريخ الترجمة بحسب مقدمة المترجم 1952، :67.

[51]- ينظر :عجائبية النثر الحكائي(أدب المعراج والمناقب):د.لؤي علي خليل،دار التكوين، دمشق،سورية،2007م :97.

[52]- ينظر السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل): د.ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 2005م، :95.

[53]- ينظر ألف ليلة وليلة طبعة جديدة منقحة، دار العلم والمعرفة، القاهرة، مصر،2005م، : 20(حكاية الصياد والعفريت)

[54]- الأزمنة والأمكنة : الأصفهاني، أبو علي المرزوقي، مجلس دائرة المعارف الكبرى، حيد آباد، الهند،ط1، 1337للهجرة،ج 1 :150.

[55]- مقال (مفهوم الزمان) : مارتن هيدغر، ترجمة : ربيع شلهوب، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان :152 – 153، تصدر عن مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 2010، : 35.

[56]- محكيات السرد العربي القديم :56.د. يوسف إسماعيل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية 2008م.

[57] - الكامل :المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد ت (285 هـ)، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1992 م ،ج2 :734.

[58]-مفاهيم سردية : تزفيتان تودروف، ترجمة عبد الحمن مزيان، منشورات الاختلاف،بيروت، الجزائر، ط1، 2005م، :35 -36.

[59]-القارىء في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية): أمبرتو إيكو، ترجمة: انطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط 1، 1996م: 79.

[60]- ينظر أدبية النصّ النثري عند التوحيدي (السردي والإنشائي) : حسن إبراهيم الأحمد، رسالة دكتوراه، إشراف د. عبداللطيف عمران،جامعة دمشق، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، 2003م، :544.

[61]- البنية النفسية عند الإنسان : يونغ، ترجمة : نهاد خياطة، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 1994، :34.

[62]- رسائل إخوان الصفا : ج4 :153 -154.

[63]- الأصحّ :بين سماد تلك المزبلة ورمادها.

[64]- رسائل إخوان الصفا : ج4 : 154-155.

[65] - شعرية الخطاب السردي :محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2005 م، :65.

[66]- المصطلح السردي (معجم مصطلحات): جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار مراجعة: محمد البربري، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (238) ، القاهرة ، مصر ، ط 1، 2003م: 32.
[67]-ينظر الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت (1094 هـ)، وضع فهارسه: د. عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط 1، 1412 هـ - 1992 م: 29.
[68]- المقابسات : التوحيدي، أبو حيّان، تحقيق :حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ط1، 1929م، المقابسة (75) : 280.
[69]- ينظر الأدب والدلالة :ت.تودروف، ترجمة : محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، 1996 م : 49 -50.
[70]- المفارقة وصفاتها :44.
[71]- المصدر نفسه :45.
[72]- نظريات السرد الحديثة دلاس مارتن، ترجمة :د. حياة جاسم محمد،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 1998م: 131.
[73]- تشريح النقد : نورثرب فراي، ترجمة : محمد عصفور، منشورات جامعة الأردن، عمان، الأردن، 1991م :65.
[74]-علم الدلالة : د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، :35-39.
[75]- ينظر أخبار الحمقى :23.
[76] - للمزيد ينظر مقال (مدخل إلى التحليل البنيوي للنص) : رولان بارت، ترجمة نخلة فريفر، مجلة العرب والفكر العالمي، تصدر عن ممركز الإنماء القومي، العدد:5، سنة 1989م، بيروت، لبنان، :33- 34.
[77]- مورفولوجيا الحكاية الخرافية : فلاديمير بروب، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، وأحمد عبد الرحيم نصر، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، السعودية، ط 1، 1409 هـ - 1989 م:180.
[78] - تأصيل النصّ(المنهج البنيوي لدى لوسيانغولدمان) : محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري،حلب،سورية، ط1، 1997، : 55.
[79]-أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد): التوحيدي، أبو حيّان علي بن محمد بن العباس ت (414 هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان (طبع بإذن مجمع اللغة العربية بدمشق)، 1412 هـ - 1992م :111.
[80]- المناقضة مصطلح ورد في مبحث مقتربات المفارقة واجترحه أبو حيان التوحيدي.
[81]- أي :غضب عليه، ينظر لسان العرب مادة (نغر).
[82]- القدّ :سير من الجِلْدِ، ينظر لسان العربمادّة(قدّ).
[83]- نقد العقل التأويلي أو (فلسفة الإله الأخير): فتحي المسكيني، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 2005م، :242.
[84]- البصائر والذخائر: ج 4: 14.
[85]- البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، ط 1، 1410 هـ - 1990 م، : 408.
[86]- صار مخصياً.
[87] - العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي : د.محمد فكري الجزار، سلسلة دراسات ادبية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1998م : 110.
[88] - الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية) : د. محمد القاضي، إصدارات كليّة الآداب بمنوبة، تونس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،1998م،: 621.
[89]- البصائر والذخائر :ج2 : 164.
[90]- أخبار الظراف والمتماجنين: 112 -113.
[91]- ينظر القارىء في الحكاية :54.
[92]- الضحك :96.
[93]- الضحك :100.
[94]- بلاغة النصِّ (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) :د. جميل عبد المجيد، دار غريب، القاهرة، مصر،1999م : 18.
[95]- نشوار المحاضرة :ج7 :10 -11.
[96] - نظريات السرد الحديثة: 132.
[97] - نشوار المحاضرة : ج4 :212-213، وينظر حكاية عبد الملك وعرار، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء : الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، ت (502) للهجرة، تحقيق: د. عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1420 للهجرة- 1999م، : ج1 :343.

[98] - أي : خارت قواها وضَعُفَتْ.
[99]- كذا وردت بلا ضبط من المحقق اجتهدت في ضبطها على ما ثبّتُ على نية التقديم والتأخير.
[100]- مقال (طبيعة الدليل اللساني) :أميل بنفنيست، ترجمة : سعيد بنكراد، مجلة العرب والفكر العالمي، تصدر عن مركز الإنماء القومي، ع5، عام 1989م، 118.
[101]- الظرف والظرفاء :الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى، مطبعة التقدّم، القاهرة، مصر، ط2، 1334 للهجرة، :139.
[102] - نثر الدر: ج2 :156.
[103]- أخبار الظراف والمتماجنين: 134.
[104]- محاضرات الأدباء،ج1: 728.
[105]- البزخ : الانحناء من كثرة الاكل، ، مشعل : القِرْبَةُ المملوءة ماءً،ينظر لسان العرب مادّة (بزخ) و(شعل).
[106]-ينظر الكلام والخبر : 225.
[107]- الأذكياء : ابن الجوزي،الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن القرشي البغدادي، ت (597 هـ)، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض،دار الكتاب العربي، بيوت، لبنان، 1428 للهجرة -2007 م :116.
[108]- محاضرات الأدباء : ج1: 643.
[109]- الإمتاع والمؤانسة: 281.
[110]- مورفولوجيا الحكاية الخرافية:
[111]-الفكاهة والضحك :د.شاكر عبد الحميد، إصدارات عالم المعرفة (289)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1423للهجرة – 2003 م، : 127.
[112]- عيون الأخبار :ج 8 :141.
[113]- ينظر المفارقة وصفاتها : 33.
[114] - اللغة في الأدب الحديث :، ترجمة : ليون يوسف،و عزيز عمانوئيل، دار المأمون،منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1989 م، :47.
[115]- ينظر :دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث : د.أحمد درويش، دار عريب للطباعة والنشر، القاهرة، ، :35 -36.
[116] - معايير تحليل الأسلوب : ميكائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد الحمداني، منشورات دراسات سال، دار النجاح الجديدة، الداء البيضاء، المغرب، ط 1، 1993م: 21.
[117]- ينظر : سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة إصدارات عالم المعرفة (145)، تصدر عن المجلس الوطنيللثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990: 71، ومصطلح اللغة غير اللسانية أدّق من مصطلح هاديات غير لغوية ؛ لأنّوظيفة اللغة الإيصال، وهذه الإيماءات والإشارات تؤدّي غرض الإيصال،؛ لذا سيعتمد البحثُ المصطلح الأوّل.
[118]- دلائل الإعجاز، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، ط6، 1960، :61.
[119]- أصول تحليل الخطاب :ج2 : 137.
[120] -ينظرالمفارقة وصفاتها : 67.
[121]- ينظر النص الروائي (تقنيات ومناهج) :بيرنارفاليط، ترجمة : د. رشيد بنحدو، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1999م : 72.
[122]- علم الدلالة :منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية،2001م، :331.
[123]- ينظرفي نظرية الرواية (بحث في تقنيات السَّرد)،إصدارات سلسلة عالم المعرفة (240)، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (1419للهجرة – 1998)، :103.
[124] - نثر الدر :ج3 : 59.
[125]- مفتاح العلوم :73.
[126]- البيان والتبيين : ج4: 98.
[127]-التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون): منشورات الاختلاف الطاهر بومزيد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، الجزائر، ط 1، 2007، : 40.
[128]- المفارقة وصفاتها: 44.

[129] - تحرير التحبيرفي صناعة الشعر والنثر: المصري، ابن أبي الإصبع، تحقيق حفني محمد شرف، لجنة أحياء التراث الإسلامية، القاهرة، مصر، 1963م،ج3 :599، بديع القرآن:المصري، ابن أبي الإصبع ت (654 هـ) تحقيق: حفني محمد شرب، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1957: 393.

[130] - الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين ت (356 هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، وإبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 2، 1425 هـ - 2004 م: ج23 :121.

[131] -عنفقة: ما بين الشفة السفلى والذقن، ينظر لسان العرب مادة «عنف»، وأعتقد أنه أبا العبر هذا كان يقصد الذقن من باب ذكر الجزء وإرادة الكلّ.

[132] - نثر الدرّ : ج7 :161.

[133] - أخبار المُصحِّفين :العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله، ت(382للهجرة)، دار البشائر للطباعة والنشر، ط1، 1416 للهجرة – 1995م :68، و الأغاني : ج4 :274.

[134] - أخبار الحمقى والمُغفّلين :84.

[135] - أخبار المُصحِّفين :70.

[136] - أخبار الظراف: 137.

[137] - دلائل الإعجاز : الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمنبن محمد النحوي ت(471 للهجرة أو 474)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، : 172.

[138] - في الجملة حذفت همزة الاستفهام وهو حذف مقبول، لأنّه دلّ عليه دليل وهو السياق.

[139] - الإمتاع والمؤانسة : 335.

[140] - أخبار الحمقى :35.

[141] - المصدر نفسه : 102.

[142] - ينظر دلائل الإعجاز (ط5) :120.

[143] -ينظرالمصدر نفسه : 120 -121.

[144] - جنة الشوك : طه حسين، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، 1986م :12 -13، وقد عرّب د. محمد السعيدي مصطلح(الابيجراما) بمصطلح (اللافتة)، ولا أرى دقّة في تعريبه ؛ لأنه لا يصل لحقيقة (الأبيجراما) ينظر : مقال (مصطلح السخرية وتجلياته)، مجلة المعرفة ع : 578، 2011 م : 344.

[145] - أخبار الحمقى :33، في كتاب ثمار القوب : والي اليمامةلا والي المدينة، ولُقِّب ب(مقوّم النّاقة) ينظر ص :30.

[146] - أصول تحليل الخطاب، ج 2: 681.

[147] - التخلف الاجتماعي (سيكولوجية الإنسان المقهور): د. مصطفى حجازي، مركز الإنماء القومي، الدراسات الإنسانية، بيروت، لبنان، ط 1، 1980، :60.

[148] - النص الروائي:60.

[149] - العقلانية التطبيقية : غاستونباشلار، ترجمة :د. بسام الهاشم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1405 للهجرة – 1984م، : 31.

[150] - نثر الدرّ : ج7 :139.

[151] - المصدر نفسه :ج5 : 180.

[152] - الأدب والدلالة :ت.تودروف، ترجمة : محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، 1996،: 11.

[153] - المصدر نفسه : 17.

[154] - البصائر والذخائر :ج8 : 28.

[155] - البصائر والذخائر :ج5: 64.

[156] - أمثال العرب :48.

[157] - البصائر والذخائر :ج6 :189.

[158] - نثر الدر : ج2 :157.